البراهين الساطعة

على

اعتقادات الإمامية

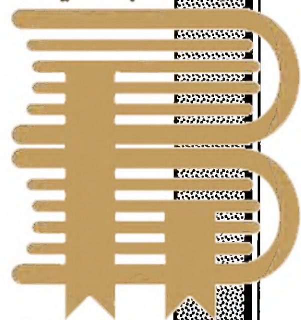
للعبد المفتقر إلى ربّه الجليل

أبو طالب التجليل

البراهين الساطعة

على

اعتقادات الإمامية



للعبد المفتقر إلى ربّه الجليل

أبو طالب التجليل



هوية الكتاب:

اسم الكتاب:	البراهين الساطعة على اعتقادات الإمامية
المؤلف:	أبو طالب التجليل
الطبعة:	الأولى
المطبعة:	سلمان فارسی ــ قم
التاريخ:	١٣٧٥ ش.
الكمية:	٢٠٠٠
الناشر:	مؤسسة في طريق الحق
الصفّ والإخراج باللاينوترون:	مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين

و صلّى الله على محمّد خاتم النبيّين و آله الطاهرين

إثبات واجب الوجود مبدع الكون و خالق العالم جلّت عظمته

معرفة الله فطريّة للإنسان

إنّ للإنسان مدركات يدركها بالفطرة، و من هذا القبيل معرفة الله سبحانه و تعالى.

ففي القرآن الكريم:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاس عَلَيْهٰا﴾ .(سورة الرّوم/ ٣٠)

وفي المروي من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما رأيت شيئاً إلاّ و رأيت الله قبله و معه و بعده».

وفي المروي من أدعيته عليه السلام:

«يا من دلّ على ذاته بذاته».

وفي المرويّ من دعاء سيد الشّهداء عليه السلام يوم عرفة:

«كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، عميت عين لا تراك عليها رقيباً و خسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبّك نصيباً».

و مقتضى كون معرفة الله فطرية، عدم الحاجة في إثباته جلّت عظمته إلى اقامة البرهان عليه، لكنّا نذكر هيهنا جملة من البراهين عليه:

البرهان الأوّل: برهان الصدّيقين

قال في الأسفار: و هو سبيل الصديقين الذي يستشهدون به تعالى عليه ثمّ يستشهدون به على صفاته و بصفاته على أفعاله....

وقد أُشير في الكتاب الالهي إلى هذه الطريقة بقوله تعالى: **﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ انّه علىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيد﴾**. (سورة فصّلت/ ٥٣)

أقول: لهذا البرهان تقارير مختلفة نذكر منها تقريرين هما أقرب التقارير كلّها:

التقرير الأوّل:

كلّ إنسان يدرك بالضرورة موجودات في الخارج، و بعبارة أُخرى يدرك وجود موجودات، و من المعلوم بالبداهة أنّ فيها موجوداً واجب الوجود، و إلاّ كان

جميع الموجودات ممكن الوجود و مفتقراً في وجوده إلى علّة موجدة.

ومن المعلوم أيضاً بالبداهة امتناع كون جميع الموجودات ممكن الوجود ومفتقراً في وجوده إلى غيره، فإنّ غير جميع الموجودات هو المعدوم و المعدوم لا يكون علّة للموجود بالبداهة.

فيحكم بالضرورة بأنّ في الموجودات موجوداً واجب الوجود.

و هذا التقرير لا يتوقف على اثبات أيّ مسألة من المسائل الفلسفيّة من أصالة الوجود و وحدة الوجود وغيرهما.

التقرير الثاني:

إنّا ندرك الوجود في الخارج بالضرورة و من البديهي انّ الوجود إمّا واجب أو ممكن فإن كان ممكناً يفتقر إلى غيره.

وغير الوجود هو العدم و الماهيّة، و العدم ليس منشأ للأثر بالبديهة و الماهيّة اعتباريّة لا أصالة لها و ليست شاغلة للخارج، فثبت أنّ الوجود لا يفتقر إلى غير الوجود.

فالوجود منه واجب الوجود و هو الذي يفتقر الوجودات الممكنة إليه .

قال في الأسفار: هذا البرهان أسدّ البراهين و أشرفها و هو الذي لا يكون الوسط في البرهان غيره بالحقيقة، فيكون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود و هو سبيل الصديقين.

أقول: قوله لا يكون الوسط في البرهان غيره أي غير واجب الوجود من الموجودات الممكنة الّتي كان التطرق إلى اثبات واجب الوجود بواسطتها برهاناً إنّياً، أي استكشاف وجود العلّة بواسطة وجود المعلول.

والمراد من كون الطريق إلى المقصود هو عين المقصود أنّ هذا البرهان يتحصّل من ضمّ الادراكات الفطريّة البديهيّة للإنسان بعضها ببعضٍ، فيحصل العلم بوجود الواجب جلّت عظمته من غير وساطة العلم بوجود غيره.

البرهان الثاني: برهان الامكان والوجوب

وتقريره: إنّه لا شكّ في أنّ هنا موجوداً بالضّرورة، فإن كان الموجود واجباً فهو المطلوب، و إن كان ممكناً إفتقر إلى موجد يوجده بالضّرورة، فإن كان الموجد واجباً لذاته فهو المطلوب، و إن كان ممكناً إفتقر إلى موجد آخر، فإن كان الأوّل دار، و هو باطل بالضرورة، و إن كان ممكناً آخر تسلسل، و هو باطل أيضاً.

لأنّ تلك السلسلة الّتي جميع آحادها ممكن الوجود تكون ممكنة الوجود بالضرورة يمتنع وجودها لذاتها بلا موجد خارج عنها، فلابدّ لها من موجد خارج عنها فيكون واجباً بالضّرورة، و هو المطلوب.

البرهان الثالث: برهان الحدوث

وهو برهان المتكلّمين و تقريره:

إنّ العالم حادث فلابدّ له من محدثٍ فلو كان محدَثاً تسلسل أو دار، و إن كان قديماً ثبت المطلوب لأنّ القديم يستلزم الوجوب.

أمّا انّ العالم حادث فلأنّ الجسم لا يخلو من الحوادث فهو حادث.

أمّا انّه لا يخلو من الحوادث، فلأنّه لا يخلو من الحركة و السكون؛ فانّ كلّ جسم لابدّ له من مكان ضرورة و حينئذٍ إمّا أن يكون ساكناً فيه أو متحركاً، و الحركة والسكون كلاهما حادثان، فانّ الحركة هو الكون في المكان الثاني بعد الكون في المكان الأوّل و السكون هو الكون الثاني في المكان الأوّل.

أمّا أنّ كلّ ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، فلأنّه لو لم يكن حادثاً لكان

قديماً و حينئذٍ إمّا أن يكون معه في القدم شيء من تلك الحوادث اللازمة أو لا يكون، فإن كان الأوّل لزم اجتماع القدم والحدوث في شيء واحد و هو محال، أو لا يكون معه في القدم، فلزم خلوّ الجسم من الحركة و السكون معاً و قد تبيّن استحالته.

البرهان الرابع: برهان الحركة

قال في الأسفار: هذه (برهان الحركة) طريقة الخليل ـ صلوات الله عليه ـ و قد أشار بذلك إلى قوله تعالى:

﴿وَ كَذٰلِكَ نُرِي إِبْرٰاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ* فَلَمّٰا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوكَباً قٰالَ هٰذٰا رَبّي فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ* فَلَمّٰا رَءَا الْقَمَرَ بٰازِغاً قٰالَ هٰذٰا رَبّي فَلَمّٰا أَفَلَ قٰالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضّالّين* فَلَمّٰا رَءَا الشَّمْسَ بٰازِغَةً قٰالَ هٰذٰا رَبّي هٰذٰا أَكْبَرُ فَلَمّٰا أَفَلَتْ قٰالَ يٰا قَوْمِ إِنّي بَرِيءٌ مِمّٰا تُشْرِكُونَ* إِنّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوٰاتِ وَ الْأَرْضَ حَنِيفاً وَ مٰا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (سورة الأنعام/ ٧٥ـ٧٩).

أقول: برهان الحركة يتوقف على ثلاث مقدمات:

١ـ عالم الطبيعة بجميع موجوداتها متحركة.

٢ـ الحركة مركّبة من الانوجاد و الانعدام.

٣ـ وجود الشيء بعد كونه منعدماً بدون العلّة محال بالبداهة.

أمّا المقدمة الثانية فترجع إلى هويّة الحركة، وبيانه: انّ الشيء في حال الحركة في كلّ آنٍ في نقطة ليس فيها في الآن السابق عليه، ولا في الآن اللاحق عليه، فإنّه لو كان في نقطة في آنين تبدّلت الحركة بالسكون.

وأمّا المقدمة الأُولى و هي حركة عالم الطبيعة فلها أنواع ثبت كلّ نوع منها في علم من العلوم.

حركة عالم الطبيعة بحسب علم الهيئة

المحسوس في بدو النظر سكون الأرض، و لكنّه قد ثبت في القرون الأخيرة و تبيّن بالعين والعيان حركة كرة الأرض حركة وضعيّة على محورها الممتدّة بين قطبيها في كل يوم و ليلة، و حركة انتقاليّة حول الشمس في كل سنة، و ما هو المحسوس في بدو النظر من دوران الشمس حول الأرض خطاء في الحسّ.

ثمّ ثبت في علم الهيئة حركة الشمس مع ما تدور حولها من السيّارات بأجمعها، و انّها تدور بسرعة (٢٥٠) كيلومتراً في الثانية، و بهذه السرعة تسير مسافة امتدادية لا دور فيها إلّا مرّة واحدة في مائتي مليون سنة.[١]

و اكتشف بعضهم حركة الشمس إلى جانب نجمة (نوجائي) بسرعة ٢٠ كيلومتراً في الثانية.[٢]

وقد نطق القرآن بحركة الشمس حركة امتدادية، فقال تعالى:

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (سورة يٰس/ ٣٨).

فانّ الجريان إنّما يطلق على الحركة الامتدادية، و لو كان المراد الحركة الدوريّة المحسوسة للشّمس في كلّ يوم و ليلة حول الأرض، لقال: و الشّمس تدور، فهذه الآية من معجزات القرآن الكريم، حيث إنّها غير منطبقة على ما كان عليه أهل الهيئة في الأزمنة المتقدّمة من دوران الشمس حول الأرض، ولا على ما اتّفق عليه علماء الهيئة طيلة القرون المتأخرة من سكون الشّمس و دوران الأرض حولها، فانطبقت على ما انكشف بعد ثلاثة عشر قرناً من زمن نزولها بآلات فنيّة دقيقة.

---

١ و ٢ـ كتاب زيگل، و قد ترجم بالفارسية بعنوان شگفتى هاى آسمان (عجائب السماء)، ص ٢٣.

حركة ذرّات عالم الطبيعة بحسب علم الفيزياء

المعلوم في علم الفيزياء انّ مفردات أجزاء العناصر الساذجة للأجسام الّتي تسمّى (مولكول) تعدادها في الأجسام المتعارفة في طول واحد ميليمتر (ثلاث ملايين).

وقد تشكل مولكول من أجزاء يسمّى (آتم) و هو في لغة لاتين بمعنى جزء لا تتجزّى، ولكنّ علم الفيزياء قد نجح على تجزئته و إعلام تركّبه من أجزاء لها، و أنّ كلّ آتم قد تركّب من أجزاء كثيرة، هي على ثلاثة أصناف، صنف منها يسمّى «الكترون» و هو في الصغر بحيث انّ وزن واحد من «آتم هيدورجين»مع أنّه أصغر أنواع آتم يساوي وزن (٢٠٠٠) الكترون و هذه الأجزاء الكثيرة لـ(آتم) تدور بسرعة شديدة حول مركزه على الدوام و من هنا ثبت أنّ أجزاء عالم الطبيعة لا تزال في حال الحركة على الدوام.

حركة ذات الأجسام بحسب علم الفلسفة

سيجيء منّا إن شاء الله برهان ثبوت الحركة الجوهريّة للأجسام عند اثبات تجرّد و اجب الوجود جلّت عظمته و امتناع كونه جسماً تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

والثابت بحسب البرهان القطعي أنّ ذوات الأجسام كلّها في حال الحركة، و انّ كلّ جسم من الأجسام في حال الإنوجاد و الإنعدام في كلّ آنٍ من الآنات. فثبت أنّ عالم الطبيعة لا يزال ينوجد و ينعدم، و يفتقر في وجودها إلى خلّاق العالم جلّت عظمته في جميع الآنات.

البرهان الخامس: برهان النفس

قال الله تعالى:﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَ فِـي أَنْفُسِهِمْ حَتّى يَتَبَيّن لَهُمْ انّهُ الْحَقّ﴾ .(سورة فصلت/ ٥٣)

وقال عليه السلام : «من عرف نفسه فقد عرف ربّه» [١]

برهـان النفس هو معرفـة الله تعالى من طريـق معرفة النفس و يحصـل منها معرفة الله بوجوده، و تجرّده، وعلمه، و قدرته، و سائر صفاته.

والإنسان بنفسه مكتبة عظيمـة اجتمع فيها كتب التوحيد مـن أسهل كتبها إلى أصعبها و من أعلاها رتبة إلى أدناها، يوجد فيها كتاب سهلة سمحة يقدر على مطالعتها أقلّ الناس فهماً، و فيها من الكتب ما يفوق عن فهم أدقّ علماء البشر و أرفعهم فهماً.

فكلّ إنسان على أيّ مرتبة من الفهم و العلم، من أدناهم إلى أعلاهم جعل الله له في نفسه ما يحتاج إليه من كتاب التـوحيد، من غير حاجة له إلى تحصيله من الخارج عن حيّز وجوده فلا عذر له في ترك مطالعته، و سلوك طريق معرفة الله من سبيل معرفة نفسه.

وقد انطوى في وجود الإنسان ببدنـه و روحه ما لا تحصى من الأسرار، و هو كما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

و تحسـب أنّـك جـرم صغير   و فيـك انطـوى العـالم الأكبر
و أنـت الكتـاب المبين الّـذي   بـأحـرفـه يظهـر المضمـر [٢]

١ـ مصابيح الأنوار، ج١، ص ٢٠٤ و عوالي اللّئالي، ج٤، ص ١٠٢، ح١٤٩.
٢ـ ديوان أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد ثبت في علـم «الفيزيولوجيا» أنّ بـدن كلّ فرد من الإنسـان عالم يعيش فيـه خمسون ألـف ميليارد سلّـول، يزيـد تعدادهـا عن تعـداد سكنة كـرة الأرض بأجمعها، بعشرة آلاف مرّة، كلّ واحد منها حيوان و له حياة بنفسه.[١]

وأمّـا روحــه، فهـو مخزن الأسرار، و قـد اعترف العلماء على اختــلافهـم في التخصّص في أنواع العلوم بالعجز عن إدراك كنـه الروح، و شؤونه و حالاته، من العلـم، و الخيال، و الحفـظ، والتفكر، و الإرادة، و الحبّ، و البغـض، و الحزن، و السرور و النّـوم، و اليقظة، و الالتفـات، و الغفلة، و غيرهـا، فـإنّ الروح و تلـك الحالات ليس شيء منها مشهوداً و لا مدركاً بالحواسّ الظاهرة.

فهو كما قـال الله: ﴿**يَسْأَلُونَـكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِـنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾ .(سورة الاسراء/ ٨٥)

وبالجملة العالم، و مـن جملته الإنسان، كتاب تكوينيّ لمعـرفة الله سبحانه و تعالى ، و المطـالعة فيه سهـل ممتنع، سهل لتمكّـن كلّ فرد مـن المطالعة فيـه حتّى أدنى الناس فهماً، و ممتنعٌ، لأنّ فهم أسراره صعـب لم يتمكن العلم في طيلة القرون إلاّ عن ادراك شيء يسير منها فهو نظير كتاب الله التشريعي ، سهل فهمه، كما قال تعالى:

﴿**وَ لَقَدْ يَسّرنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**﴾ .(سورة القمر/ ١٧)

و ممتنع لغير أهله كما قال تعالى:

﴿**وَ مٰا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاّ الله وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ**﴾ . (سورة آل عمران/ ٧)

ومن آيات الله تعالى في وجود الإنسان ، حالاته ا لمتجدّدة

روي في «أُصول الكافي»، كتـاب التوحيد، باب١ حـديث ٢، ج١ ص ٩٧

١ـ راجـع كتاب فيزيولـوجيا«تن آدمى» تـأليف ايزاك آسيمـوف. وقد ترجمه إلى اللّغة الفـارسيّة، دكتر محمود بهزاد.

بسنده عن أبي العوجاء... في حديث ـ قال له أبو عبد الله عليه السلام:

وَيْلَكَ وَ كَيْفَ ٱحْتَجَبَ عَنْكَ مَنْ أَرٰاكَ قُدْرَتَهُ فِي نَفْسِكَ نُشُوءَكَ وَ لَمْ تَكُنْ وَ كِبَرَكَ بَعْدَ صِغَرِكَ وَ قُوَّتَكَ بَعْدَ ضَعْفِكَ وَ ضَعْفَكَ بَعْدَ قُوَّتِكَ وَ سُقْمَكَ بَعْدَ صِحَّتِكَ وَ صِحَّتَكَ بَعْدَ سُقْمِكَ وَ رِضٰاكَ بَعْدَ غَضَبِكَ وَ غَضَبَكَ بَعْدَ رِضٰاكَ وَ حُزْنَكَ بَعْدَ فَرَحِكَ وَ فَرَحَكَ بَعْدَ حُزْنِكَ وَ حُبَّكَ بَعْدَ بُغْضِكَ وَ بُغْضَكَ بَعْدَ حُبِّكَ وَ عَزْمَكَ بَعْدَ أَنٰاتِكَ وَ أَنٰاتَكَ بَعْدَ عَزْمِكَ وَ شَهْوَتَكَ بَعْدَ كَرٰاهَتِكَ وَكَرٰاهَتَكَ بَعْدَ شَهْوَتِكَ وَ رَغْبَتَكَ بَعْدَ رَهْبَتِكَ وَ رَهْبَتَكَ بَعْدَ رَغْبَتِكَ وَ رَجٰاءَكَ بَعْدَ يَأْسِكَ وَ يَأْسَكَ بَعْدَ رَجٰائِكَ، وَ خٰاطِرَكَ بِمٰا لَمْ يَكُنْ فِي وَهْمِكَ وَعُزُوبَ مٰا أَنْتَ مُعْتَقِدُهُ عَنْ ذِهْنِكَ وَمٰا زٰالَ يُعَدِّدُ عَلَيَّ قُدْرَتَهُ الَّتِي هِيَ فِي نَفْسِي الَّتِي لاٰ أَدْفَعُهٰا حَتّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ فِيمٰا بَيْنِي وَ بَيْنَهُ.

البرهان السادس: برهان النظم أو النظام

أساس هذا البرهان مطالعة الطبيعة، و هو برهان سهل و صعب.

صغراه: مطالعة الطبيعة، وهي سهلة، فإنّها بمرآى و منظر لجميع أفراد الإنسان، و وجود النظم فيها مشهود محسوس حتّى لأضعفهم في الشعور و الادراك.

صعبة، من حيث كون جميع العلوم الطبيعيّة بياناً لنظم موجودات الطبيعة، فإنّ كلّ واحد و احد من معالم العلوم الطبيعيّة و كلّ مفرد من مفرداتها وكلّ مسألة مسألة من مسائلها يكشف عن قانون من قوانين الطبيعة.

فإنّ قاطبة موجودات عالم الطبيعة منتسجة من قوانين الخلقة، قوانين لاتحصى، بعضها ظاهرة بمرآى و منظر من الإنسان، وبعضها باطنة، قد نالت

التجسّسات العلميّة على اكتشاف قليل منها، والاختراعات البشريّة ليست إلاّ الإستكشاف و الانتفاع من خواصّ الأشياء و موجودات الطبيعة عند تجزيتها، أو تركيبها و اقتران بعضها مع بعض بمقتضى قوانين الخلقة الجارية فيها.

والقانون هو النظم، وكلّ قانون هو نظم خاصّ بين مصاديقه، فيستتبع جريان برهان النّظم فيه، و كلّما تتوسّع علوم الطبيعة و يزداد العلم بقوانين الطبيعة يتوسّع العلم بطرق معرفة الله سبحانه و تعالى، و إن كانت الأهداف الخسيسة الدنيويّة منها ربّما تعمي القلوب عن الاهتداء إلى سبيله، فانهّا لا تعمي الأبصار و لكن تعمي القلوب الّتي في الصدور.

وأمّا كبراه: فهي أيضاً سهلة سنبينها بشكل مبسّط يدركه كلّ أحد. و قد تعرضنا لبيانها العلمي و الرياضي في كتاب «براهين المعارف الإلهية» فراجع.

عدّة أمثلة بسيطة

إذا انقطعت المسبحة هل يمكن أن ترجع حبّاتها بنفسها إلى شكلها الأوّل؟

هل يمكن أن تتكون غرفة أو بناية منظمة و مجهزة و طبقاً لخريطة المهندس من عدد من الطابوق صدفة؟!

هل من الممكن أن تصطفّ مجموعة من الألوان، الواحد بجانب الآخر و تُنظّم منظر جميل بالصدفة؟!

هل من الممكن أن تُحاك سجادة جميلة ذات منظر جميل من مجموعة من خيوط الصوف الملوّنة صدفة؟!

فهل وُجد جسم الإنسان بهذا التركيب العجيب من أعضاء و جوارح منظمة و دقيقة جدّاً صدفةً؟!

العالم كتاب الله التكويني

يصف القرآن الكريم جميع العالم من أوّله إلى آخره بالآيات الالهية، وفي الحقيقة عالم الكون كتاب عظيم مضمونه معرفة الله، و كلّ قانون للكائنات هو آية من آيات هذا الكتاب، و قد سمّى القرآن في (٤٠) آية كائنات العالم بالآية كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿وَ مِنْ آيٰاتِهِ خَلْقُ السَّمٰواتِ وَ الأَرْضِ وَاخْتِلاف أَلْسِنَتِكُمْ وَ أَلْوانِكُمْ﴾ و كذلك في الآية ٧٩ من سورة النحل ﴿أَلَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّراتٍ فِي جَوِّ السَّماءِ مٰا يُمْسِكُهُنَّ إِلاّ اللهُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ .

والآيات التي تدل على أنّ كائنات العالم آياته تعالى، و انّ مطالعة كتاب الكون تزيد من معرفة الله كثيرة.

جميع كائنات العالم ذات نظام دقيق لايمكن أن تزيد أو تنقص دورة الكرة الأرضية حولها في كل يوم دقيقة واحدة و كذلك وقت طلوع و غروب الشمس في كلّ يوم من أيام السنة مطابق لذلك اليوم في جميع السنين. فإنّ دوران الأرض حول الشمس في طول أيّام السنة في كلّ سنةمنتظم و دقيق.

و في المطالعة يجب أن نبدء بأنفسنا، كلّ وجودنا نظام. يتكون جسم الإنسان من خلايا [١] و كلّ خلية حيوان مستقلّ له احساس، و تناسل، وحركة، و تغذية ، تختلف الخلايا في عملها و كلّ منها له عمل خاصّ.

يعيش [٢] في جسم الإنسان (٥٠٠٠٠) مليارد خليّة [٣] و هذا العدد يعادل (١٠٠٠٠) مرة لأفراد الكرة الأرضية.

وتكوّن من مجموعة من الخلايا المتشابهة مع مادة غير حيّة نسيجٌ واحد و

١ـ خلايا جمع خليّة، يعني سلّول.

٢ـ أُنظر كتاب جسم الانسان، تأليف آسيمف و ترجمة الدكتور بهزاد.

٣ـ خلية: سلّول.

لخلايـا كلّ نسيـج عمـل خاصّ بها، حيـث يتكون العضـو مـن عدّة أنسجـة، و الأعضاء، بدورها تُشكّل أجهزة الجسم كجهاز الهضم الذي يقوم بعمل الأكل أي التجـزئة و تحليل الطعـام إلى امتصاص و طـرح المواد الـزائدة، و جهاز التنفـس العجيب حيث تأخذ الرّئتان أوكسجين[١] الهواء و ينتشر في الدم بواسطـة عوامل خاصّة و يصـل الاوكسجين إلى جميع الأعضاء بواسطة الـدم ، و ضرورته واضحة للجسم. كـذلك الجهاز التنـاسلي عجيبٌ أيضاً حيث إنّ لكـلّ قسم خلايـا تقوم بوظائف خاصة و معيّنة.

إنّ مطالعات و دراسات العلماء حول معرفة عجائب الخلية، مستمرة.

و كلّ هذه كانت أمثلة و إلاّ فـالعجائب كثيرة في جميع أجزاء و أقسام عالم الخلقة و خصوصاً من حيث النظام والترتيب الموجود بينها و كلّها طرق لمعرفة الله.

أعطى الباري تعالى لـلإنسان قوّة التفكر والتأمّل و خـزن العلم كي يعرف ربّه بشكـل أفضل مـن خلال الطـرق المختلفة و مـن طريـق معرفـة أسرار عالم الخلقة﴿**وما خلقـت الجنّ و الإنـس إلاّليعبدون**﴾ أي ليعرفـون.وليست العلـوم محدثة البشر بل البشر كـالدّجاجة التي تلتقـط العلوم من تضاعيـف الكائنات، فحتّى الاختراعات ليست إلاّ التعرف على الموجودات و الكائنات و خواصّها.

البرهان السّابع: برهان الحكمة

الفرق بين برهان النظام و برهان الحكمـة هو أنّ الكلام في برهان النظام من قانون الخلقة الجاري في جميع أنحاء العالم.

والنظم أو النظام يعني القانون، برهان الحكمة منفصل عن برهان النظام.

الحكمـة: يعني القيـام بعمـل لهدف معينّ، و لـزوم استخدام كـلّ شيء في

١ـ اكسجين: اكسيژن.

المكان المناسب له و لتحقيق الهدف المنشود و يقـال للشخص الذي يقوم بأعماله في الوقت والمكان المناسب، ولا يفعل الشيء عبثاً: حكيم.

إنّ برهان الحكمـة لا يُثبت وجود الصانـع فقط، بل يُثبت علمـه و تدبيره أيضاً.

مثلاً عند ما تـرى بناية [١] لها خصائص البنـاء الكامل المُهنـدَسي نفهم أنّ مهندِس البناية مُدبّر، يريد تأمين معيشة الناس.

و يكفي في اثبات برهان الحكمة أن ينظـر الإنسان إلى كيفيّة بناء جسمه، و تشكيل بدنه كما يكفي ذلك في برهان النظام.

روي في عوالي اللئـالي: أنّ مجاشع سـأل النبيّ ﷺ: كيف الطريـق إلى معرفة الحقّ؟ قال ﷺ: «معرفة النفس».

نعـم، معـرفة النفـس أفضـل طـريـق لمعـرفة الله، و في متنـاول الجميـع، و كلّ شخص يستطيع أن يعرف الله سبحانه بقليل من التأمّل والتدبّر في بدنه، فمن حين ولادة الطفل من بطن أُمّه هُيّئت له وسـائل معيشته طبقاً لاحتياجاته، فثدي الأُمّ المليء باللبن في حجرها مركز المحبّة و العطف إلى أن يستقرّ رأس الثدي بين شفتي الطفل، اللطيفتين و بضغـط قليل ينزل و يدرّ اللّبـن في فمه الصغير، نحن نعلم أنّه إذا لم يأكل و لم يشرب الإنسان لعدة أيام فقط، يموت، فالخالق الرحيم هيّأ الغـذاء للطفل المولـود حديثـاً الّذي لا يستطيـع أن يتغذى مـن بقية الأغـذية المختلفة، ففـي حجر الأُمّ و من ثـديها بقدرته تعـالى يُوجِـد اللبن فيه عنـد تكوّن الجنين في بطن أُمّه.

يؤكد خبراء الغذاء على أنّ لبن الأُمّ أفضل غذاء لنموّ الطّفل حيث يستطيع هضمه بظرافة و لطافة خاصة.

١ـ ساختمان.

انظروا إلى الحكمة الالهيّة، خُلق للثدي رأس لطيف يمكن للطفل أن يلتقمه في فمه، جعل فيه ثقوب صغيرة جدّاً بحيث بمجرّد ضغط شفتي الطفل عليها يصبّ اللبن في فمه، فإذا لم يكن فيه ثقب لم يخرج اللبن منه، و إذا لم تكن الثقوب صغيرة للغاية يصبّ و يسيل اللبن من الثدي في الحالة الاعتيادية.

من علّم الطفل الرضيع الذي لا يفهم شيئاً بعدُ أن يوضع رأس الثدي في فمه وأن يُحرّك شفتيه و يرتضع منه اللبن؟

أشار الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» إلى هذه الحكمة لخالق الكون فقال: «فمن هداك لاجتراء الغذاء من ثدي أُمّك».[1]

وبما أنّ الطفل لا يستطيع أن يتغذى إلاّ باللّبن، لا يوجد في فمه أسنان، و لكن عند ما ينمو و يصبح قادراً على التغذّي من الأغذية المختلفة تنمو الأسنان في فمه، بشكل صفّين في الأعلى والأسفل، أحدهما مقابل للآخر، لكي يُمضغ الطعام بينهما.

يتصل الفكّ الأعلى بأقوى عظام البدن يعني عظم الجمجمة، و هو ثابت بينما يتحرّك الفكّ الأسفل و يضغط على الفكّ الأعلى فيقطع و يمضغ الطعام بينهما.

لقد خُلقت الأسنان الأمامية أي الثّنايا حادّة لكي تقطع اللقمة، بينما الأسنان الخلفيّة ـ أي الطواحن ـ فعريضة وغير مستوية السّطح كي تطحن الطعام، و تجعله قابلاً و سهلاً للهضم.

أمّا اللّسان فمسؤول عن تحريك الطعام في الفم و وضعه بين الأسنان، و عند ما يُطحن الطعام و يصبح جاهزاً للهضم يجمعه من أطراف الفم و يُرسله عن طريق البلعوم إلى الأسفل.

١ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٦٢).

يشعر جميع أعضاء جسم الإنسان بالضعف إذا بقي جائعاً لمدة (٢٤) ساعة، و بمجرّد تناول الطعام تشعر جميع الأعضاء بالقوة والنشاط، فما هذه الدقّة في الخلق بحيث إنّ للّقمة الواحدة، أثرها على جميع البدن؟

هل يمكن لأحد أن يُنظّم هذه الأُمور الطريقة الدّقيقة بأن يستفيد الجسم من لُبّ الطعام و جوهره و يطرح أو يخرج المواد الزائدة إلى خارج البدن؟! لا لايمكن لأحد إلاّ حكمة الحكيم جلّ و علا.

فإذا لم يشعر الإنسان بالجوع فما أعظم الخطر الذي سيواجهه، فبهذه السهولة يستطيع كلّ إنسان أن يتفكّر و يتدبّر في خلق بدنه وبناء جسمه و يتعرّف على خالقه من هذا الطريق.

مطالعة و دراسة الاكتشافات العلميّة في بناء جسم الإنسان

إنّ مطالعة الاكتشافات العلميّة حول بناء البدن و خلقة جسم الإنسان تجعلنا نتعرّف بأكثر على حكمة الخلق والأُمور الدقيقة المحيّرة لجسم الإنسان. أوردنا نبذة منها في كتاب «براهين المعارف الإلهيّة» فراجع.

البرهان الثامن: برهان الجمال

إنّ الجمال و الظرافة الموجودة في الخلق خارجة عن الوصف. كالطبيعة كم هي جميلة بحيث إنّه لا يستطيع أي رسّام أو مصوّر ماهر أن يرسم منظراً بهذا الجمال فمن بين لوحات الرسم نرى أنّ اللوحة القريبة من الطبيعة هي الأجمل والأثمن .جمال أعضاء جسم الإنسان: من الرأس و الصدر و اليد و الرجل والوجه من عين و أُذن و حاجب و فم و أنف وغيرها، ثمّ جمال الصورة التركيبية لها حيث لا يتصور أنسب و أجمل منها.

العيون الجميلة للإنسان: حيث البؤبؤ الأسود في وسط الدائرة القهوائية أو الزرقاء أو لون آخر في بياض العين، مع الرموش المنظمة المصطفة حول حلقة

العين و محيطة بها، مع الحاجبين المرسومين فوق العينين إلى أن نصل إلى الشفتين الورديتين التي عند فتحهما تظهر الأسنان البيضاء المرصوصة الواحد بجانب الآخر، هذا نموذج من جمال وجه الإنسان، هذه اللوحة الجميلة المصنوعة من لحم و جلد و شعر، جميلة إلى الدرجة التي نحتاج لوصفها فقط ذوي الأذواق الجميلة.

لا يوجد صورة أجمل مما خلق الباري تعالى، خلق الإنسان بهذه الصورة الجميلة للوجه و بذلك التركيب لأعضاء الجسم المختلفة من الرأس إلى القدم.

كلّ ذوق يرى أنّ أقل تغيير فيه بعيد عن الجمال و أيّ صورة أُخرى غير ما خلق الله لا يُعدّ جميلاً.

جمال الأشجار والنباتات:

كم هو جميل منظر الأشجار والنباتات بحيث لا يمكن لشخص أن لا يعشقها، الأزهار مظهر لكمال الجمال وأوج الجاذبية للقلب، و ازهار النسترن، السوسن، الياسمين، النرجس، الياس، النيلوفر، البنفسج، الشقائق، الورد الأحمر، الأطلسي، و سائر الأنواع الأُخرى للورد يتسابق كلّ منها بجمالها و بلونها و بشكلها الخاص تسحر الناظر، و بالاضافة إلى الجمال و السحر و الجاذبية، النعومة والعطور التي تجعل الإنسان فرحاً مسروراً و في حال لا يمكن وصفه.

هل يمكن أن تتصورون أنّه إذا كان وجه الإنسان بشكل آخر كم سيكون قبيحاً و غير مناسب. كيف يمكن أن يوجد جميع هذا الجمال والظرافة بالصدفة؟! إذا وضعنا مقدار من أوراق الورد على بعضها البعض كيف يمكن أن تصبح وردة لطيفة جميلة ذات لون جميل و عطر فواح تتحرك فوق الغصن؟!

***

وحدانيّة الله سبحانه و تعالى

والبراهين عليها كثيرة، نذكر هيهنا اثني عشر منها:

البرهان الأوّل للتّوحيد: برهان الفساد

قال الله تعالى: ﴿لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلاَّ الله لَفَسَدَتا﴾ (سورة الأنبياء/ ٢٣).

وتقريبه: أنّ خلقة العالم الّتي تحققت على طبق النظام الأتمّ لو كان المؤثر فيها ارادة أحدهما استلزم عجز الآخر و لو كان ارادتهما معاً استلزم عجز كليهما. فإن علم كلّ واحد منهما بالنظام الأتمّ للعالم اقتضى إرادته لايجاده، فكانت إرادتهما متمانعتين فإنّ كلّ واحد منهما علّة تامّة لايجاده ويستحيل استناد المعلول إلى علّتين تامّتين. فتكون العلّة التامّة هي مجموع إرادتهما، دون إرادة كلّ واحد منهما و عجز كلّ منهما أن يكون علّة تامّة له.

وإن كانت إرادة أحدهما قاهرة على إرادة الآخر ثبت عجز أحدهما، وهو ينافي وجوب الوجود. فتبطل خلقة عالم لا محالة.

البرهان الثاني للتّوحيد: برهان وحدة النظام

قال الله تعالى: ﴿وَ ما كانَ مَعَهُ مِنْ إِلٰهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِما خَلَقَ و لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾ (سورة المؤمنون/ ٩١).

ففي «تفسير الميزان»، ج١٥، ص ٦٢:

قوله تعالى:﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰـهٍ بِمٰا خَلَقَ﴾ حجّة على نفي التعـدد ببيان محذوره إذ لا يتصور تعدد الآلهة إلاّ ببينـونتها بوجه من الوجـوه بحيث لا تتحد في معنى أُلوهيتها و ربوبيتها، ومعنى ربوبية الإله في شطر من الكون و نوع من أنواعه تفويض التدبير فيه إليه بحيـث يستقل في أمره من غير أن يحتاج فيه إلى شيء غير نفسه حتى إلى من فوّض إليه الأمـر، و من البيّن أيضاً أنّ المتباينين لا يترشح منهما إلاّ أمران متباينان.

ولازم ذلك أن يستقل كـلّ من الآلهة بما يرجع إليه من نـوع التدبير و تنقطع رابطـة الاتحاد والإتصال بين أنـواع التدابير الجاريـة في العـالم كالنظـام الجاري في العالم الإنساني عن الأنظمة الجارية في أنواع الحيوان والنبات والبر والبحر والسهل و الجبل والأرض والسماء و غيرها و كلّ منها عـن كلّ منها، و فيه فساد السماوات والأرض و ما فيهنّ، و وحدة النظام الكوني والتئام أجزائه واتصال التدبير الجاري فيه يكذّبه.

وهذا هو المراد بقوله: ﴿إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰـهٍ بِمٰا خَلَقَ﴾ أي انفصل بعض الآلهة عن بعض بما يترشح عنه من التدبير.

و قوله:﴿وَ لَعَلا بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ﴾ محذور آخر لازم لتعدد الآلهة تتألف منـه حجّة أُخـرى على النفي، بيـانه: أنّ التـدابير الجارية في الكـون مختلفة منهـا التدابير العرضية كالتدبيرين الجاريين في البر والبحر والتدبيرين الجاريين في الماء والنار، و منها التدابير الطولية التي تنقسم إلى تدبير عام كلي حاكم و تدبير خاص جـزئي محكوم كتـدبير العالم الأرضي و تـدبير النبـات الذي فيـه، و كتدبير العـالم السماوي و تدبير كوكب من الكواكب التي في السماء، و كتدبير العالم المادي برمّته و تدبير نوع من الأنواع المادية.

فبعض التدبير و هـو التدبير العام الكلي يعلو بعضاً بمعنى أنّـه بحيث لو انقطع عنه مادونه بطل مادونه لتقوّمه بما فوقه، كما أنّه لولم يكن هناك عالم أرضي أو

التدبير الـذي يجري فيه بـالعموم لم يكـن عالم إنسـاني ولا التدبير الـذي يجري فيه بالخصوص.

ولازم ذلـك أن يكـون الإلـه الـذي يـرجـع إليـه نـوع عـال مـن التـدبير عاليـاً بالنسبة إلى الإلـه الذي فوّض إليـه من التدبير مـا هو دونه و أخـصّ منه و أخسّ و استعلاء الإله على الإله محال.

برهان وحدة النظام في الحديث:

روي في «أُصول الكافي»، كتاب التوحيد، حديث ٥.

قال أبـو عبد الله عليه السلام : «فلمّا رأينا الخلـق منتظماً و الفَلك جـارياً و الليـل والنهار والشمس و القمر دلّ صحّة التدبير وائتلاف الأمر على أنّ المدبّر واحد».

برهان وحدة النظام في كتب الفلسفة:

قال صدر المتألهين في «المبدأ و المعاد»، ص ٤٥ :

انّ كونها (أي الموجـودات) مرتبطة منتظمـة في رباط واحـد مؤتلفة ائتـلافاً طبيعيّاً يـدل على انّ مبدعهـا و مدبرهـا و ممسك رباطهـا عن أن ينفصـم، واحد حقيقـي يقيمها بقـوتـه الّتي تمسـك السماوات والأرض أن تـزولا، و لو كـان فيهما صـانعـان لتميّز صنـع كـلّ واحـد منهما مـن صنـع غيره فكان ينقطـع الارتبـاط فيختلّ النظام كما في قوله تعالى:﴿**إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلٰهٍ بِمٰا خَلَقَ وَ لَعَلاٰ بَعْضُهُمْ عَلىٰ بَعْضٍ**﴾ ـ إلى أن قال: ـ كـون جبلة العالم مع تفنّن حركـاتها و تخالف أشكالها و تغيّر آثارهـا مؤسسـة على الائتلاف الطبيعـي و الرصـف الحكمي دالّـة بوحـدتها الطبيعيّة الاجتماعية على الوحدة الحقّة الحقيقية.

فسبحـان من جعـل الموجودات العـالمية على كثـرتها متشاكلـة من وجـه و متمايزة من وجه، متفرقة من وجه لتكون دالّة على صنع قادر حكيم و مدبر عليم .

برهان وحدة النظام: من منظار العلوم الطبيعيّة:

الّذي ينبغي أن يقال في توضيح هذا البرهان: انّ موجودات العالم بأجمعها مرتبطة، و قوانين الطبيعة حاكمة على قاطبتها، بحيث إنّ جميع العالم قد صنع من النظم و القانون، و قانون الطبيعة جارية في جميع ذرّات العالم و في كلّ (آتم) منها.

يحصل العلم بها بمطالعة العلوم الطبيعيّة، و الإكتشافات الّتي حصل فيها إلى اليوم منظار واسع لمشاهدة حكومة قوانين الطبيعة على قاطبة أجزاء العالم، و منها يتبيّن أنّها بأجمعها مرتبطة و منسلكة في سلك واحد.

إنّ حركة الكرات السماويّة الّتي تسير في مدارات معينة و فواصل منظّمة بحيث لا تصطدم الواحدة بالأُخرى، تدلّ على وحدة النظام في العالم، لاحظ دوران الأرض و السيارات التسعة حول محور الشمس، و دوران الشمس، مع سياراتها حول مركز المجرّة، كلّ ذلك لأحسن دليل على وحدة نظام الخلق فيها.

توضيح:

الأجسام أعمّ من الجمادات و النباتات و الحيوانات والإنسان، بعضها بالنسبة إلى بعض كالمعدّات (معدّ الشيء، الّذي يكون مقدّمة لوجود الآخر) الحيوان يأكل النبات، فذلك النبات معدّ لوجود الحيوان، الإنسان يأكل الجوامد، و يتغذي على النباتات والحيوانات أيضاً، و تصبح جزءاً منه، يموت الإنسان والحيوان و يصبحا تراباً، و ينمو النبات من التراب، فكلّ منها يتحوّل إلى الآخر في شروط خاصة، و هذا يحكي عن أنّ خالق الجميع واحد متى ما أراد يحوّله إلى الآخر.

وبعبارة أُخرى: تغذي النباتات والحيوانات والإنسان من الجمادات، و كذلك تغذّي الحيوانات والإنسان من النباتات، و تغذّي الإنسان و بعض

الحيوانـات من الحيـوانات، يـدل على الاحتياج الـوجودي لكـلّ منها بعضهـا إلى بعض، و هذا يكشف عن وحدة النظام والتدبير الواحد الموجود في خلقتها.

ترتبـط حياة النباتـات والحيوانات و كذلـك الإنسان بحركـة الأرض حول نفسها بحيث يوجـد منها الليل والنهار، و بحركتها حـول الشمس في مدار معيّن بحيث تصل الحرارة و الضوء للأرض طبقاً لدرجات معيّنة.[١]

و من الشواهد على وحدة النظام، الموازنة الموجودة بين الحيوانات والنباتات في صرف الاوكسجين و الكاربـون فانّ التركيـب الأساسي لوجـود جميع النبـاتات والغابات والأشجار، مـن الماء والكاربون، تطرح الحيوانات الكـاربون من الهواء و تجذب الاوكسيجين فيحصل الموازنة بين صرف الكاربون والأوكسيجين.

البرهان الثالث للتوحيد: برهان الهداية والفيض التشريعي

﴿شَهِدَ اللهُ انّه لاٰ إلهَ إلاّ هُوَ وَالْمَلائِكَة وَ أُولُوا العِلْمِ قٰائماً بِالقِسْطِ لاٰ إلهَ إلاّ هُوَ الْعَزيزُ الْحَكيم﴾ (سورة آل عمران/ ١٨).

انّ واجـب الوجـود هو منبـع الفيض فكما يفيـض منه الفيـض التكوينـي يفيض منه الفيض التشريعي أيضاً لسـوق العباد إلى الكمال و هدايتهم إلى معرفة ما يؤدّي إلى رضاه.

ولمّا كـان جميع الأنبيـاء أخبروا بوحـدانيّة الله سبحـانه و تعـالى و قد بعثـوا بـالرسـالة مـن قبـل الله الواحـد الأحـد و قد أيّـدهم بشـواهـد الصدق وقـرنهم

١ـ ثبت في العلوم الطبيعية أنّ المسافة بين الكرة الأرضية والشمس تساوي (١٤٩) مليون كيلومتر، ولو كانت المسافة بين الشمس والأرض ضعفي هذه المسافة لكان مقدار الحرارة التي تصل إلى الأرض ربع الحرارة الحالية، وتتضاعف مدّة الشتاء أيضاً، وتنجمد جميع الكائنات الحيّة، ولو كانت نصف المسافة الحالية صـارت الحرارة أربع أضعاف الحرارة الفعليّة، وصارت مدّة كـل فصل من فصول السنة نصف مدّتـه الحاليّة وأصبحت الأرض محرقة بالحرارة بحيث لم يمكـن بقاء الموجودات الحيّة عليها.

با لمعجزات و شهدوا جميعاً بوحدانيّته، فلو كـان إله آخر لبعث من ناحيته أنبياء و رسلاً أخبروا عنـه و أدّوا برسالتـه إلى الناس، فانتفـاء نبيّ يخبر عنه و اتّفـاق جميع الأنبياء على وحدانيّة الله سبحانه و تعالى يدلّ على انّه ليس معه إله آخر وانّه الإله الواحد الأحد الذي لا شريك له في الوهيّته.

وفي نهج البلاغة، كتاب ٣٠:

قـال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيّتـه لابنـه السبـط الأكبر أبي محمّـد الحسـن المجتبى عليه السلام:

...وَ اَعْلَمْ ، يٰا بُنَـيَّ، إِنَّهُ لَوْ كانَ لِرَبِّـكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ، وَ لَـرَأَيْتَ آثٰارَ مُلْكِهِ وَ سُلْطٰانِهِ، وَ لَعَرَفْتَ أَفْعٰالَهُ وَ صِفٰـاتِهِ، وَ لٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وٰاحِدٌ، كَمٰا وَصَفَ نَفْسَهُ، لاٰ يُضٰادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ، وَ لاٰ يَزُولُ أَبَداً، وَلَمْ يَزَلْ ، أَوَّلٌ قَبْلَ الأَشْيٰاءِ بِلاٰ أَوَّلِيَّةٍ، وَ آخِرٌ بَعْدَ الأَشْيٰاءِ بِلاٰ نِهٰايَةٍ، عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحٰاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ....

قال المجلسي في تقرير هذا البرهان:

إنّ هذا برهان قاطع على وحدانيّته تعالى، فانّ واجب الوجود يجب أن يكون قادراً وفيّاضاً على الإطلاق.

فإن كان الله أرسل أربعة وعشرين و مائة ألف نبيّ، لهداية الناس إلى معرفته و دعوتهم إلى عبادتـه، فلو كان إله آخر ــ العياذ بالله ـ لبعث نبيّـاً لا محالة لارشاد الناس إلى معرفته و دعوتهم إلى عبادتـه و إلاّ لكان غير قادر أو غير حكيم و كان جاهلاً أو بخيلاً و واجب الوجود يجب أن يكون منزهاً من هذه الصفات المستلزم للنّقص المستلزم للإمكان.

أقول: يبتنى هذا البرهان على مقدمات قد برهن على صحّتها في محلّه.

«الاولى» وجود الوجود يقتضى الحكمة و كون أفعاله تعالى في غاية الاحكام و الاتقان و نهاية الكمال .«الثانية» اللطف واجب، فإن كان من فعله تعالى وجب

عليه و إن كان من المكلّف وجب أن يشعر به و يوجبه . «الثالثة» البعثة (أي بعث الأنبياء و إرسال الرسل) واجبة لاشتمالها على اللّطف.

البرهان الرابع للتّوحيد: برهان الحقيقة

وبيانه: انّ صدق واجب الوجود على شيء يتصور على وجهين: أحدهما: أن تكون حقيقته واجب الوجود، و الآخر أن يكون من قبيل صدق المفهوم على فرد كان حقيقته غير ذلك، كصدق الضارب و الأبيض على فرد الإنسان، فلو كان صدق واجب الوجود من هذا القبيل لكان حقيقته و ذاته غير واجب الوجود، وكان صدق واجب الوجود عليه بالعرض، فيفتقر عروضه عليه إلى علّة هي واجب الوجود بحقيقته و ذاته دونه.

فلو فرض اثنان كلّ واحد منهما واجب الوجود بحقيقته و ذاته، لكان مابه التميّز و التعدد غير واجب الوجود بحقيقته، فانّ المفروض انّ حقيقة واجب الوجود مشترك بينهما فما به التميّز والتعدد ممكن الوجود بحسب ذاته، فيكون خارجاً عن ذات واجب الوجود، فثبت أنّ التعدد منشأه امكان الوجود و لا سبيل للتعدد إلى واجب الوجود.

البرهان الخامس للتوحيد: برهان عدم كون المتخالفين مصداقاً لحكم واحد

١ . إنّ صدق مفهوم واحد على مصاديق متعددة من دون اشتراكها في حيثية واحدة هي ملاك صدق ذلك المفهوم عليها، محال.

٢. لو فرض لمفهوم واجب الوجود مصداقان، فهما إمّا متباينان بالذات وإمّا فيهما جهة مشتركة.

٣. فإن كانا متباينين بالذّات لكان انتزاع مفهوم واحد من ذاتين متباينين ـ

كما تقدّم في المقدمة الأُولى ـ محالاً.

و إن كان لهما حيثية مشتركة فتلك الحيثيّة المشتركة التي هي ملاك صدق عنوان واجب الوجود، إمّا خارجة عن ذاتهما، فيلزم أن يكون وجوب الوجود خارجاً عن ذاتهما و أن لا يكون ذاتهما واجب الوجود بالذات.

٤. و إن كانت الحيثيّة المشتركة داخلة في ذاتهما فهي إمّا تمام الذات لهما، فيكون تعدّدهما بالعرض، و ذلك يستلزم افتقار التعدد إلى العلّة، و إن كانت بعض ذاتهما لكان البعض الآخر الذي هو ملاك تعدّدهما ممكن الوجود، فكان التعدد أي وجود الثاني مفتقراً إلى العلّة، فلا يكون و اجب الوجود و ذلك يعطي استحالة تعدد واجب الوجود.

البرهان السادس للتّوحيد: برهان التعيّن

وهذا البرهان ذكره الشيخ الرئيس في «الاشارات» و «الشفا» قال في «الاشارات»:[1]

واجب الوجود المتعيّن إن كان تعيّنه ذلك لانّه واجب الوجود فلا واجب وجود غيره، و إن لم يكن تعيّنه لذلك بل لأمر آخر فهو معلول.

وقال في «الشّفا»(في ثامنة الالهيات) في شرح هذا البرهان: مثلاً لو كان الشيء الواجب الوجود هو هذا الإنسان، فلا يخلو إمّا أن يكون هو هذا الإنسان، للإنسانيّة و لانّه إنّسان، أو لا يكون. فإن كان لانّه إسان هو هذا، فالإنسانيّة تقتضي أن يكون هو هذا فقط.

و إن وجدت لغيره فما اقتضت الإنسانيّة أن يكون هو هذا، بل إنّما صار هذا هذا لأمر غير الإنسانيّة.

١ـ ج٣، ص ٤٠ مع شرح للطوسي ﷺ.

فكذلك الحال في حقيقة واجب الوجود، فانّها إن كانت لأجل نفسها هي هذا المعيّن، لاستحال أن تكون تلك الحقيقة لغيره، فيكون تلك الحقيقة ليست إلّا هذا.

و إن كان تحقّق هذا المعنى لهذا المعيّن لا عن ذاته بل عن غيره، و إنّما هو هو لأنّه هذا المعيّن، فيكون وجوده الخاصّ له مستفاداً من غيره فلا يكون واجب الوجود، هذا خلف.

أقول: الظاهر أنّ النسخة مغلوطة و الصحيح : لا عن ذاته و إنّما هو هو لانّه هذا المعيّن بل عن غيره الخ.

توضيح البرهان:

إنّه لو فرض كون واجب الوجود اثنين أحدهما غير الآخر في الخارج كان لكلّ واحد منهما عينيّة غير عينيّة الآخر.

فإمّا أن يكون عينيّته و كونه هذا الواجب دون الآخر بمقتضى كونه واجب الوجود، فيكون وجوب الوجود مقتضياً لكون واجب الوجود هو هذا الواجب دون الآخر، فيستحيل وجود واجب الوجود غيره لكونه مستلزماً للتناقض.

و إمّا أن يكون عينيّته و كونه هذا الواجب دون غيره ليس بمقتضى وجوب وجوده، تكون عينيّته معلولة للغير، فلا يكون واجب الوجود، فيستلزم التناقض أيضاً.

ولهذا البرهان تقرير آخر ذكره الشيخ في «الإشارات» و شرحه المحقّق الطوسي في شرحه عليه.

البرهان السابع للتوحيد: برهان التميّز

بيانه: إنّه لو تعدّد الواجب بالذّات لوجب تميّز أحدهما عن الآخر، ولا يمكن تميز أحدهما عن الآخر.

لانّ الـذاتين إن كانتـا متعـدّدة كان وجـوب الوجـود عـارضاً لهما، فليستـا واجبتين بذاتهما و كانتا مفتقرتين في الوجود إلى العلّة.

و إن كانتا واحدة كان التعيّن أيضاً واحداً فلا تعدّد لا ذاتاً و ولا تعيّناً.

توضيحـه: أنّ المميّز بـالعرض إن كـان لازماً للـذات يكون لكليهما، لعـدم الفرق بينهما في الـذّات، و إن كان غير لازم إحتاج إلى علّة مخصّصـة لأحدهما دون الآخر، و ليس تلك العلّة إلاّ ذات أحدهما لا محالة، لكون غيرهما مفتقراً إليهما.

وأيّهما كان علّـة له لابدّ مـن خصوصيّة له كـان هو العلّة دون الآخـر، فيلزم الدور، لتوقّـف حصول العارض المميز لـه على وجود تلك الخصوصيّـة، و توقّف وجود تلك الخصوصيّة على حصول العارض له ، لكون المفروض عدم تميّز أحدهما عن الآخر إلاّ به.

وهذا البرهان مستفـاد مع تحرير منّا ممّـا ذكره صاحب الأسفـار في «المبدأ و المعاد» ، ص ٣٥ ملخّصاً، و مانسبه إلى دليل المشهور على التوحيد في «الأسفار»، ج٦، ص ٥٧.

البرهان الثامن للتوحيد: برهان صرف الوجود...

بيانه: انّه قد تبينّ أنّ حقيقة واجب الوجود صرف الوجود لا يشوبه غيره من عدم أو ماهيّة و تشخّصـه بعين كونه صرف الوجود، فلا يمكـن تعدّده، فإنّه كلّما فرض له ثانٍ يكـون عين الأوّل، فانّ الثاني لابدّ من تميّزه عـن الأوّل، والمفروض انّه صرف الوجود و تشخصه و تميّزه بكونه صرف الـوجود، فلا مميّز له عن الأوّل، فهو هو بعينه فالواجب واحد لا ثاني له.

فوجوب وجوده أي ذاته بذاته يدلّ على وحدته كما في التنزيل: ﴿شَهِدَ اللهُ انّهُ لاٰ إلٰهَ إلاّ هُوَ﴾.

وهذا البرهان لصاحب التلويحات ، نقله عنه في الأسفار، ج١، ص ١٣٥ .

البرهان التاسع للتّوحيد: برهان الاقتضاء

وهو ما ذكره الحكيم السبزواري في «المنظومة» بقوله:

صرف الـوجـود كثرة لم تعـرضـا لانّـه إمّـا التـوحّـد اقتضـى

فهـو وإلاّ وحـدة مـا حصـلا أو كـان في وحـدتـه معلّـلاً

وقد ذكر الآملي رحمه الله في «درر الفوائد» في ج١، ص ٤٣٨ في تقريره:

حاصله انّ وجود الواجب جلّ و علا الّذي يعبر عنه بصرف الوجود تارة و بالوجود بشرط لا أُخرى إمّا أن يقتضي بذاته و من حيث نفسه الوحدة أو يقتضي كذلك الكثرة أو لا اقتضاء في مرتبة ذاته بالنسبة إلى شيء منهما **فعلى الأوّل**: فلا محالة يكون واحداً لمكان كون الوحدة من مقتضاه و انّه بذاته يكون كذلك **وعلى الثاني**: يلزم أن لا يتحقق مثل تلك الكثرة إذ كلّ كثرة إذا تحقّقت لابدّ من أن تنتهي إلى الوحدة لانّ الوحدة مبدأ للكثرة و يستحيل تحقّق الكثرة بلا تحقّق الوحدة **لكن هذه الكثرة وهي الكثرة التي تقتضيها ذات صرف الوجود لا يمكن أن تنتهي إلى الوحدة** لانّ واحدها أيضاً صرف الوجود والمفروض كونه بذاته مقتضياً للكثرة بحيث كلّما تحقّق تحقّقت الكثرة فلو تحقّقت لزم أن لا ينتهي إلى الوحدة و هو محال **و على الثالث** يلزم أن يكون صرف الوجود في كثرته إذا كان كثيراً و في وحدته إذا كان واحداً معللاً بالغير لكن كون الواجب في وحدته معللاً بالغير محال لاستلزامه كونه في وجوده الذي هو نفس ذاته معللاً ضرورة انّ ما به الشيء يكون واحداً هو الوجود الذي هو في الواجب نفسه فكونه في وحدته معللاً مستلزم لكونه في وجوده معلّلاً كما لا يخفى.

البرهان العاشر للتوحيد: برهان التركّب

ذكره الحكيم السبزواري في «المنظومة» بقوله:

تــركّــب أيضــاً عــراه إن يعــدّ ممّــا بــه امتيــاز و مــا بــه اتّحد

وتقريره كما في «درر الفوائد»، ج١، ص ٤٣٩:

إنّه لو كان واجب الوجود متعدداً للزم أن يكون مركباً، والتالي باطل، لمنافاة التركيب مع الوجوب. **وبيان الملازمة** انّ اختلاف ذاك الواجـب على فرض التعدد عن ذاك، **إمّا** بالاختلاف النـوعي بأن يكون كلّ واحـد نوعاً مغايراً مـع نوع الآخر **و إمّا** بالاختلاف الشخصي، **فعلى الأوّل** يلزم أن يكون كلّ منهما مركّباً من الجنس و الفصل، و **على الثاني** يلزم أن يكون كـلّ واحد منهما مركّباً ممّا يكون بـه مشتركاً مع الآخر في تمام الذات و مـن عارض شخصي يمتاز به عـن الآخر. **وعلى التقديرين** يلزم تركيب الواجب **إمّا في أصـل** حقيقتــه كما في الأوّل، أو في تشخّصــه كما في الأخير. **و بعبارة أُخرى**: إذا كان واجـب الوجـود متعدداً **لزم** تركّـب كلّ منهما، **أو خروجه** عن كونه واجبـاً، لانّه مع فرض التعدد لو كـان واجبان مثلاً و اشتركا في وجوب الوجود، لاحتاج كلّ منهما إلى ما بـه يمتاز عن الآخر لكي يتم الاثنينية، و حينئذٍ لا يخلو **إمّا** يكـون ذات كلّ منهما ممتـازاً عـن الآخـر بتمام الذات و يكـون الاشتراك في وجوب الوجود الذي يصدق عليهما صدقاً عرضياً، **أو يكون** امتيازهما بأمر خارج عن الذات و يكون وجوب الوجود ذاتياً لهما بمعنى كونه تمام ذاتهما، **أو يكون** وجوب الـوجود جزء من ذاتهما ولا محالـة يكون لكلّ منهما جزء آخـر قضاء لحكم الجزئية **و الكلّ محال**، أمّا **الأوّل** فللـزوم كون كـلّ منهما في مرتبـة ذاتهما غير واجب فيكـون كلّ منهما ممكـن الوجود و معـروضاً للـوجوب، **وأمّا الثاني** فللزوم تـركّـب كـلّ منهما في كـونه فـرداً مـن واجـب الوجـود واحتيـاج كلّ في تفـرده إلى

العوارض المشخصة، و **أمّا الثالث** فلصيرورة كلّ منهما مركباً من الجنس و الفصل و هذا ظاهر.

البرهان الحادي عشر للتوحيد: برهان البساطة

وهو برهان صاحب الأسفار في ج١، ص ١٣٥ و ١٣٦.

ومحصّله: انّه قد تحقّق بساطته تعالى من جميع الوجوه، فيلزم أن يكون موجوداً و واجباً من جميع الحيثيات، إذ لو فرض كونه فاقداً لمرتبة من مراتب الوجود و وجه من وجوه التحصل، أو عادماً لكمال من كمالات الموجود بما هو موجود، لم يكن ذاته من هذه الحيثية مصداقاً للوجود فيتحقق في ذاته جهة عدميّة، فيتركب ذاته من الوجود و غيره، فلا يكون بسيطاً حقيقياً.

ومفاد هذه المقدمة انّ كلّ كمال و جمال يجب أن يكون حاصلاً لذات واجب الوجود تعالى، و إن كان في غيره يكون مترشحاً منه فائضاً من لدنه.

فنقول: لو تعدد واجب الوجود بالذات فإذن لكلّ منهما مرتبة من الكمال و حظّ من الوجود و التحصيل لا يكون هو للآخر ولا منبعثاً عنه و مترشحاً من لدنه، فيكون كلّ واحد منهما عادماً لنشأة كماليّة و فاقداً لمرتبة وجودية.

فواجب الوجود يجب أن يكون من فرط التحصل و كمال الوجود، جامعاً لجميع النشأت الوجودية و الحيثيات الكماليّة، فلا مكافئ له في الوجود و الفضيلة بل ذاته بذاته يجب أن يكون مستند جميع الكمالات و منبع كلّ الخيرات.

البرهان الثاني عشر للتوحيد: برهان الفرجة

روي في «أُصول الكافي» ، كتاب التوحيد، باب حدوث العالم، الحديث الخامس:

عن عليّ بنُ إبراهيم، عن أبيه، عن عبّاس بن عَمرو الفُقَيْميّ، عن هشام بن

الحكم في حديث الزنديق الّذي أتىٰ أبا عبد الله عليه السلام وكانَ من قول أبي عبد الله عليه السلام ... ـ إلى أن قال: ـ

ثمّ يلزمك إن ادّعيتَ اثنين فُرجَة ما بينهما حتّى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثاً بينهما قديماً معهما فيلزمك ثلاثة ، فإن ادّعيتَ ثلاثة لزمك ما قلتَ في الاثنين حتّى تكون بينهم فرجة فيكونوا خمسة ثمّ يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة... الحديث.

وتقرير هذا البرهان: أنّه لو فرض اثنان كلّ منهما واجب الوجود لم يكن الوجوب خارجاً عن حقيقة كلّ منهما فلابدّ من الامتياز بشيء وجودي في كلّ منهما أو في أحدهما و لم يكن في الآخر.

ثمّ إنّ ما به الامتياز أيضاً واجب الوجود لا محالة فيشترك مع الاثنين في وجوب الوجود فلابدّ من امتيازه عنهما من أمر آخر يمتاز به عنهما فهو أيضاً واجب الوجود فيشترك مع الثلاثة في وجوب الوجود فلابدّ أيضاً من أمر آخر يمتاز به عن الثلاثة فهو أيضاً واجب الوجود لا محالة فيشترك مع الأربعة في وجوب الوجود ولابد في امتيازه عن الأربعة من أمر خامس و هكذا إلى غير النهاية.

قال صدر المتألهين في شرح أُصول الكافي، ج٣، ص ٣٨ بعد تقرير هذا البرهان:

فإن قلت: الامتياز بين الشيئين قد يكون بتمام الذات والاشتراك بأمر عام ذهنيّ خارج عنهما لازم لهما.

قلت: هذه شبهة مشهورة عجز الناس من حلّها، لكن من عرف حقيقة وجوب الوجود علم انّ الذي به تصير الأشياء والماهيات ذوات حقيقة هو أولى وأحقّ بأن يكون ذا حقيقة بل هو نفس الحقيقة وهي المتحقّقة بذاتها المتحقّق بها سائر الأشياء من ذوات الماهيّات، فإذن لو فرض الهان لم يكن وجوب الوجود خارجاً عن حقيقة كلّ منهما فلابدّ حينئذٍ من الامتياز بشيء وجودي خارج عن

حقيقة كلّ منهما إذ ليس انضمام ما فرض هيهنا مميزاً حاله كحال انضمام فصل بجنس، و الجنس ماهيّة كلّية مبهمة تتحصّل بالفصل، فيكون انضمام الفصل إليه انضمام أمر محصل إلى أمر مبهم ليصيرا معاً موجوداً واحداً و أمّا هيهنا فانضمام المميّز إلى حقيقة واجب الوجود انضمام محصل موجود إلى محصّل موجود آخر، و لهذا يلزم أن يكون المفروض اثنين ثلاثة و المفروض ثلاثة خمسة و هكذا إلى لا نهاية فافهم هذا و اغتنم فانّه لباب مسألة التوحيد المستفاد من هذا الحديث بتأييد الله العزيز الحميد.

أقول: توضيح كلامه في كون الجنس كلّياً مبهماً يتحصّل بالفصل : إنّ المهيّة المركّبة من الجنس والفصل توجد بوجود واحد، ولو كان لهما وجودان عرض أحدهما على الآخر كانتا مهيّتين لا مهيّة واحدة. فالجنس و الفصل متّحدان خارجاً، و إن كانا متعدّدين بحسب التحليل الذّهني.

فالجنس كالحيوان مثلاً ليس بحسب التحليل الذهني هو الحيوان المطلق، بل الحيوان الّذي هو أحد أنواعه، بحيث لو فرض تحقّق الحيوان بلا فصل في الخارج لم يكن جنساً، فالجنس هو الجزء المبهم من المهيّة، فلا تحصّل له إلاّ بالفصل.

وحيث إنّ وحدتها وجوداً وعدم كونها ذا وجودين يكشف عن كونها حقيقة واحدة غير مركّبة في الخارج، فهي الفصل لا محالة والجنس هو مقتضاه، دون العكس، فإنّ الجنس لو اقتضى الفصل لكان منافياً لوجوده في ضمن نوع آخر له ذات فصل عليحدة، فالمتحصّل بالأصالة في الخارج هو الفصل.

ولذلك قالوا: حقيقة الشيء هي فصله الأخير، و إنّ ما يتقوّم به الشيء من ذوات المهيات هو الفصل الأخير، و الجنس لا دخل له في تقرّر ذاته و قوام حقيقته.

راجع «الأسفار»، ج ٢، ص ٣٠ و ٣٥.

نفي التركّب عنه تعالى

من الاعتقادات الحقّـة الاعتقاد بنفي التركّب عنه تعالى مطلقـاً، التركب من الأجزاء الخارجيّة، والتركّب من الأجزاء العقليّة حتى التركّب من الوجود والماهيّة.

استحالة تركّب واجب الوجود

من الأجزاء الخارجيّة

ونذكر له براهين :

الأوّل:انّ لوجود الجزء تقدماً بالطّبع على وجود الكل بالبداهة فيكون مفتقراً إليه و هو ينافي كونه واجب الوجود.

والثاني:أنّ كلّ متصل الوجود متشابك الوجود بالعدم و الحضور بالغيبة.

توضيحه: أنّ الكـلّ المركّب من جزئين خارجيين ذو جانبين، و جـانبه هذا غير جانبه ذاك، فهو بجانبه هذا غائب و منعدم عن جانبه الآخر، و بجانبه الآخر منعدم و غـائب عن هذا الجانـب، و واجب الوجـود شديـد الوجود في الغـاية لا طريق للنّقص و القصور إليه.

الثالث:أنّ الواجب صرف الوجـود و لا ماهيّة له ـ كما تقدّم بيـانه في فصل التوحيد ـ و كـلّ ما لا ماهيـة له لا جزء له لا ذهنـاً و لا خارجاً، إذ كـلّ بسيط في العقل بسيط في الخارج.

الرابع: انّ وجود الكلّ في الخارج هو بعينه وجود الأجزاء، فلو فرض للواجب أجزاء خارجية، فإمّا أن يكون وجود كلّ واحد من الأجزاء بنفسه بالفعل، فيكون وجود الكلّ و وحدته اعتبارياً، فليس الكلّ واجب الوجود. و إمّا أن يكون وجود الكلّ بالفعل، فيكون وجود كلّ و احد منها بنفسه بالقوة، و هو ينافي وجوب الوجود، فليست الأجزاء واجبة الوجود، فيلزم تركّب الواجب من الأجزاء غير واجبة الوجود.

استحالة تركّب واجب الوجود من الوجود و الماهية

واجب الوجود جلّت عظمته ليس له ماهيّة غير وجوده.

توضيحه: أنّ كلّ موجود ممكن الوجود يتركب من الماهيّة و الوجود، و بعبارة أُخرى: كلّ ممكن زوج تركيبي من الوجود و الماهيّة.

وأمّا واجب الوجود فماهيته عين وجوده، و بعبارة أُخرى: ماهيّته إنّيّته و ليس له ماهيّة سوى وجوده. و البرهان عليه من وجوه:

البرهان الأوّل

إنّ الوجود و الماهيّة متّحدتان في الخارج، و ليس الشاغل للخارج إلاّ واحداً يصدق عليه الوجود والإنسان مثلاً، كما قال الحكيم السبزواري في المنظومة:

إنّ الوجود عارض المهيّة تصوراً و اتّحدا هويّة

فوقع البحث بين الفلاسفة انّ الأصيل والشاغل للخارج أيّهما؟ والآخر ينتزع عنه. و أمّا في الذهن فيمكن تصوّر كلّ واحد منهما عليحدة.

وبعد هذا التحليل الذهني يحكم العقل أنّ الماهيّة لا تقتضي الوجود بذاتها و وجودها في الخارج يفتقر إلى علّة توجده.

ومن البديهي انّ وجود العلّة غير وجود المعلول و يتقدّم عليه.

ومنه يعلم انّ واجب الوجود وجود محض و ليس له ماهيّة غيره و إن كان له ماهيّة كان اتصافها بالوجود مفتقراً إلى علّة، و كان وجود العلّة غير وجوده لا محالة، فكان ممكن الوجود، و هذا خلف.

البرهان الثاني

يظهر من بيان أُمور:

١. انّه لو كان لواجب الوجود ماهيّة غير وجوده لحكم العقل عند تصوّرها بكونها في نفسها ممكن الوجود.

٢. لانّ تلك الماهيّة لا تخلو من انّها إمّا ممتنع الوجود أو و اجب الوجود أو ممكن الوجود.

٣. فإن كان ممتنع الوجود لكان منافياً لكونها واجب الوجود لا محالة.

٤. و إن كانت واجب الوجود يلزمه.

أوّلاً أن تكون ماهيّته مقتضيةً لوجودها، فيكون وجوده معلولاً، فلا يكون وجوده بنفسه واجباً بل ممكناً.

وثانياً إنّ الماهيّة لأجل كلّيتها في اللحاظ لا تأبى عن حدوث مصاديق أُخرى لها و إن كانت بالفعل ذات مصاديق عديدة و الحدوث ينافي وجوب الوجود.

٥. و إن كان ماهيّته ممكن الوجود في نفسها، فلا يكون بحسب ماهيته واجب الوجود، و هذا خلف.

٦. فيثبت بعد هذه المقدمات أنّ واجب الوجود لا ماهية له، و بعبارة أُخرى ماهيته عين وجوده ولا يقبل التحليل إلى ماهيّة والوجود أصلاً.

٧. ينتج ذلك انّ واجب الوجود الّذي منه وجود جميع الموجودات هو منبع الوجود، والوجود البحت، و صرف الوجود، و الوجود المطلق.

ونعني بالوجود المطلق هو الوجود بشرط لا، أي لا حدّ له، لا المطلق لا بشرط بمعنى عدم تقيّده بحدّ، فانّه لا ينافي أيّ حدّ من الحدود.

والوجود المطلق لا بشرط هو الوجود الصادر منه جلّت عظمته، فبأيّ ماهيّة تعلّق يكون محدوداً بحدّها، و ليست الماهيّات إلاّ حدود الوجود.

البرهان الثالث

لو كان لواجب الوجود ماهيّة لا يخلو أن تكون إمّا عرضاً أو جوهراً، فانّ الجوهر هو ماهيّة إذا وجد وجد في نفسه و العرض ماهيّة إذا وجد وجد في غيره.

والجوهر جنس عالٍ يفتقر تحقّقه في الخارج إلى تعيّنه في ضمن نوع من أنواعه و يفتقر إلى فصل هو المعيّن لذلك النوع.

فلو كان لواجب الوجود ماهيّة تفتقر إلى جزئين ما به الاشتراك و ما به الامتياز، والافتقار ينافي وجوب الوجود.

مضافاً إلى انّ الجوهر ممكن الوجود و لذلك يوجد في ضمن الوجودات الممكنة.

وقد تبيّن من البراهين السابقة أمران: «**أحدهما**»: أنّه لا حدّ لواجب الوجود جلّت عظمته. كما قال أمير المؤمنين عليه السلام[1]: و من حدّه فقد عدّه. و قال السجاد عليه السلام[2]: انّ الله لا يوصف بمحدوديّة عظم ربّنا عن الصفة، فكيف

١ـ نهج البلاغة، الخطبة الأُولى.

٢ـ أُصول الكافي، كتاب التوحيد، باب النهي عن الصفة، صحيحة أبي حمزة.

يوصف بمحدوديّة.

«**ثانيهما**»: انّه يمتنع ادراك ذات الباري جلّت عظمتـه فانّ الذي يدخل في الأذهـان من الأشيـاء هو مـاهيّتهـا دون وجوداتها، لاستلـزام دخول وجـوداتها في الأذهان انقـلاب الذهـن بالخارج، ولـذلك قـال الحكيم السبـزواري في تعريـف الوجود:

مفهـومه مـن أعـرف الأشياء وكنهــه في غايـــة الخفـــاء

وحيث إنّه لا مهيّة له تعالى سوى وجوده، و إنّه صرف الوجود، تمتنع ادراك الأذهان لذاته، و الذي نـدركه انّه تعالى موجود، و أمّا كنه ذاتـه فلا يناله الإدراك قطّ.

***

نفي الجسميّة عن الله سبحانه و تعالى

تدل على نفي الجسميّة عنه سبحانه وتعالى الأدلّة العقليّة و النقليّة.

أمّا العقليّة، فيدلّ على استحالة كون واجب الوجود جسماً براهين عديدة، نذكر جملة منها:

البرهان الأوّل

انّ الجسم ما كان له أبعاد ثلاثة من العرض و الطول والعمق، فهو مركّب من أبعاض، و المركّب مفتقر في وجوده إلى وجود أبعاضه، و ما كان مفتقراً في وجوده فليس واجب الوجود.

البرهان الثاني

تناهي الجسم وكونه محفوفاً بالأعدام من الجوانب الستّة، والواجب يمتنع تطرق العدم إليه بوجه من الوجوه، وقد ثبت ذلك من طرق عديدة.

منها: انّه لو كان الجسم غير متناهي الأبعاد نفرض فيه نقطة خرج منها خطان حصل منهما زاوية وامتدّ الخطان بامتداد الجسم، فلو كان الجسم غير متناه امتدّ الخطان إلى غير النهاية.

ولمّا كان مقدار الانفراج بين خطي الزاوية بنسبة مقدار امتداد الخطّين،

استلزم كـون الخطين غير متناه، أن يكون الانفـراج بينهما أيضاً غير متنـاه، و ذلك يناقض كونه محصوراً بين الخطّين.

ومنها: انّه إذا فرض خطّ ممتد إلى غير النهايـة، نفرض هناك كرّة في جانب الخط الغير المتناهـي تدور حول محور الخطّ المتّصـل بين قطبي الكرة أحـد قطبيها فـوق الخطّ الغير المتناهـي والآخر تحتـه و قبـل شروعها في الـدوران نفرض خطـاً خارجاً من الكـرة عموداً على خطّ المحور موازياً للخطّ الغير المتنـاهي، يمتدّ معه إلى غير النهـاية، فـإذا دارت الكرة إلى سمـت الخطّ الغير المتناهـي يتقاطـع الخطّ الخارج من الكرة مع الخط الغير المتناهي نقطة فنقطة.

فـأوّل نقطـة يتقاطـع الخطـان هـي نقطة مـن الخطّين لا نقطـة للخطّين في امتدادهما بعد تلك النقطة و إلاّ لكان التقاطع فيها قبل التقاطع في تلك النقطة.

فثبت انّ أوّل نقطـة التقاطع آخـر نقطة مـن الخطين، فالخطّان متنـاهيان لا محالة، وقد فرض كونهما غير متناهيين، هذا خلف.

ومنها: برهان التطبيق وهـو انّه لو فرضنا ستّة خطوط خرجـت من نقطة من داخل الجسـم إلى الجهات الستّ ممتـدّة بامتداد الجسم، ثـمّ قطعنا من كـلّ خطّ قطعة من جانب تلك النقطة.

فلو فرضنا تطبيق محلّ القطع مـن الخطّ على النقطة المبدوّة منها أصل الخطّ قبل القطع، فإمّا أن يمتدّ إلى غير النهاية، فيكـون الزائد مثل الناقص و هو ممتنع، أو يقصر عنه بمقدار تلك القطعة، فيكون متناهياً، و كذا أصل الخطّ لزيادته عليه بمقدار تلك القطعة فقط لا أكثر، فثبت تناهي أبعاد كلّ جسم.

ويمكن تقرير البرهان بدون فرض التّطبيق بانّه إن كان باقي الخطّ بعد قطع قطعة مساويـاً لأصل الخطّ قبل القطع لزم مساواة الجزء مـع الكلّ، و هو محال، و إن كان أقلّ منـه لزم كونه متنـاهياً، و كذلك أصـل الخطّ لكونه أزيد منـه بمقدار تلك القطعة فقط.

البرهان الثالث

انّ كلّ جسم حادث، فيستحيل أن يكون واجب الوجود جسماً و يظهر ذلك من بيان أُمور:

١. لا ينفك الجسم عن الحركة أو السكون بالبداهة، فانّ الجسم إمّا ساكن في مكان أو متحرك من مكان إلى مكان آخر لا محالة.

٢. معنى الحركة هو الكون في الآن الأوّل في مكان و في الآن الثاني في مكان آخر، و معنى السكون هو الكون في الآن الأوّل في مكانٍ و الكون في الآن الثاني في ذلك المكان بعينه. فكلّ جسم قد تشكّل من كونين، الكون في الآن الأوّل في مكان، و الكون في الآن الثاني في ذلك المكان أو مكان آخر.

٣. الكون في الآن الأوّل في مكان، و الكون في الآن الثاني في ذلك المكان أو مكان آخر، وجودان متمايزان يمكن أن يوجد أحدهما ولا يوجد الآخر.

٤. كلّ جسم له وجود خاص و تشخص يتمايز به عن الأجسام الأُخر و يغايرها، وذلك التشخص هو الكون في زمان خاص في مكان خاص.

و لما كان منبع التشخص هو الوجود و كان تشخصه بذاته، كانت اللوازم و المشخصات كلّها منبعثة من نفس وجود الجسم، فيكون تبدل الكون في زمان خاص في مكان خاص، مستلزماً لتبدّل وجود ذلك الجسم.

٥. الكون هو الوجود، فتبدّله هو تبدّل الوجود، فالجسم لا يزال يتبدّل وجوده، و له في كلّ آنٍ وجود غير وجوده في الآن السابق عليه و غير وجوده في الآن اللاحق عليه.

فالحركة والتبدّل إنّما هو في وجوده لا في أمر خارج عن وجوده يكون له وجود آخر، فالحركة في ذاته و جوهره، فثبت أنّ كلّ جسم له حركة جوهريّة.

٦. إنّ حقيقة الحركة هي الانوجاد و الانعدام آناً فآناً.

فكلّ جسم ينوجد و ينعدم آناً فآناً، و كلّ وجود له في آنٍ، مسبوق بعدمه و ملحوق بعدمه.

نعم لو لوحظ ماهية الجسم، فليست الحركة و السكون داخلة في ماهيّته و هما خارجتان عن ماهيّة الجسم عارضتان عليها، و أمّا وجود الجسم و كونه في الآن الأوّل ليس مغايراً لوجوده و كونه، بداهة انّه ليس له وجودان في آن واحد، أحدهما وجوده و الثاني وجوده في ذلك الآن، بل ليس له إلاّ وجود واحد، فتبدّله في الآن الثاني هو انعدام وجوده في الآن الأوّل و انوجاد وجود آخر له، و هكذا في الآنات المتوالية إلى آخرها، و إن كان لوجوداته في الآنات المتوالية صورة متصلة و يقال له جسم واحد باعتبارها، كما أنّ الصورة الاتصالية للحركة تقتضي إطلاق حركة واحدة عليها من أوّلها إلى آخرها.

فإن قلت: إنّ مقولة «متى» كمقولة «أين» من المقولات العرضيّة التسع، لها طرفان طرفه الآخر هو الزمان و الزمان ينتزع من حركة الفلك.

قلت: نعم الزمان أي الليالي والأيّام و قطعاتها ينتزع من حركة الفلك الذي فيه الشمس أو من الحركة الوضعية لكرة الأرض و دورانها حول محور نقطة المركز لنفسها كما انكشف ذلك في القرون الأخيرة بالعيان.

ولكنّه لمّا ثبت بالبرهان الحركة الجوهرية والذاتية للأجسام تستوي نسبة الآنات الّتي تركب منها الزمان إليها و إلى حركة الفلك، فينتزع منها الآنات سواء كان للفلك حركة مكانية أم لا.

٧. فالجسم لا يزال حادثاً يتجدد حدوثه في كلّ آنٍ، و الحادث في كلّ آنٍ غير الحادث في الآن المتقدّم عليه.

٨. فثبت أنّ الجسم يستحيل أن يكون واجب الوجود، فواجب الوجود تعالى ليس بجسم بالضرورة لانّه يمتنع عليه العدم، و منه وجود جميع الموجودات و هو مكوّن جميع الكائنات، من المجرّدات و الأجسام والأرضين و السماوات و الأمكنة و الأزمنة و السكنات و الحركات و الحالات والآنات.

نفي الجسميّة عنه تعالى

في القرآن و أحاديث المعصومين

أمّا القرآن الكريم فيدلّ على نفي الجسميّة عنه تعـالى ما دلّ من الآيات على نفي المكان عنه.

كقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ﴾ . (البقرة/ ١١٥)

وقوله تعالى: ﴿وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ .(الحديد/ ٤)

وقوله تعالى: ﴿أَنَا أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ . (ق/ ١٦)

و قوله تعالى: ﴿وَ إِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادِي عَنّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (البقرة/ ١٨٦)

وأمّا قوله تعالى: ﴿ٱستوىٰ عَلى الْعَرْشِ﴾ فمعناه: إستقرّ ملكه و استقام.

قال الشيخ المفيد في«شرح عقائد الصدوق»، ص ٥٩: العرش في اللغة هو الملك، قال الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم ... وأودت كما أودت أياد و حمير

يريد إذا ما بنو مروان هلك ملكهم و بادوا، وقال آخر:

أظننت عرشك ... لا يزول ولا يغيّر

يعني أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر...

فعرش الله تعالى هو ملكه، و استوائه على العرش هو استيلائه على الملك، و العرب تصف الإستيلاء بالإستواء، قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف و دم مهراق

يريد به قد استولى على العراق.

وقال الطبرسي في «مجمع البيـان»، ج٤، ص ٤٢٨ في تفسير سورة الأعـراف في معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ : يعني استقرّ ملكه و استقام ... و إنّما خرج هذا على المتعـارف من كلام العرب كقولهم: استوى الملـك على عرشه إذا انتظمت أُمور مملكته، و إذا اختلّ أمر ملكه قالوا: ثلّ عرشه، و لعلّ ذلك الملك لا يكون له سرير ولا يجلس على سرير أبداً.

وقال الفخر الرّازي في «تفسيره»، ج١٤، ص١١٤ عند التعرض لهذه الآية:

أوّل الآية إشارة إلى ذكر ما يدل على الوجـود والقدرة والعلم، و آخرها أيضاً يدل على هذا المطلوب، و إذ كان الأمر كذلك فقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وجب أن يكون أيضاً دليلاً على كمال القدرة والعلم، لانّـه لو لم يدل عليه بل كان المراد كونـه مستقرّاً على العـرش كان ذلـك كلامـاً أجنبيّاً عمّا قبلـه و بعده و هـذا يوجب نهاية الركاكة.

أقول: و كذلـك في سورة يونس ذكر قبلـه خلق السماوات و الأرض و بعده تدبير الأمر.

وفي سورة الرعد، ذكر قبله رفع السماوات والأرض، و بعده تسخير الشمس والقمر.

وفي سورة الفرقان، ذكر قبله خلق السماوات والأرض، وقال بعده فاسأل به خبيراً.

وفي سورة السجدة، ذكـر قبله خلق السماوات والأرض، و بعده انّـه ما لكم من دون الله وليّ ولا شفيع .

وفي سورة الحديد ذكر قبله خلـق السماوات والأرض، وبعده علمه تعالى بما يلج في الأرض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء ما يعرج فيها و هو معكم أينما كنتم.

و في سورة طٰه ذكر قبله خلق السماوات والأرض، و بعده له ما في السماوات و ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى.

أمّا أحاديث المعصومين عليهم السلام

ففي «نهج البلاغة» في «الخطبة الأُولى» (خطبة التـوحيد) قال أمير المؤمنين عليه السلام: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه...و من حدّه فقد عدّه، و من قال فيم فقد ضمّنه، و من قال على مَ فقـد أخلى منه، كائن لا عن حدث موجـود لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة وغير كلّ شيء لا بمزايلة ....

وفي «أُصول الكافي»، (كتاب التوحيد، باب النهي عن الجسم و الصورة):

الحديث الأوّل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سبحان من لا يعلـم أحد كيف هو إلاّ هـو، ليس كمثله شيء و هـو السّميع البصير، لا يُحدُّ ولا يحسّ ولا يُجسُّ ولا تدركه [الأبصـار ولا] الحواسُّ ولا يحيط به شيء و لا جسم ولا صـورة ولا تخطيط ولا تحديد.

والحديث الثاني من الباب المذكور...فكتـب أبو الحسن عليه السلام : سبحان من ليس كمثله شيء ولا جسم ولا صورة .

والحديث الثالث من البـاب المذكور عن الـرضا عليه السلام قال: احتجـب بغير حجاب محجوب و استتر بغير ستر مستور، عُرف بغير رؤية و وُصف بغير صورة و

نعت بغير جسم ؛ لا إله إلاّ اللهُ الكبير المتعال.

والحديث الرابع من الباب المذكور عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: إنّ الله تعالى لا يشبهه شيء ، أيُّ فحش أو خنإٍ أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديدٍ و أعضاءٍ، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً.

والحديث السادس من الباب المذكـور عن أبي عبد الله عليه السلام قال ليونس بن عبد الرحمان : ويحه أمـا علم أنّ الجسم محدودٌ متناه و الصورة محدودة متنـاهية فإذا احتمـل الحدّ احتمل الـزيادة و النقصـان و إذا احتمـل الزّيـادة و النُّقصان كـان مخلوقـاً .قال: قلت: فما أقـول؟ قال: لا جسـمٌ ولا صورةٌ و هو مجسِّـم الأجسام و مصوِّر الصور، لم يتجزَّء و لم يتناه و لم يتزايد ولم يتناقص؛ لو كان كما يقولون لم يكن بين الخالق والمخلـوق فرقٌ و لا بين المنشئ و المُنشأ لكـن هو المنشئ فـرَّق بين من جسَّمه و صوَّره و أنشأه، إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبه هو شيئاً.

والحديث السابع من الباب المذكور عن موسى بن جعفر عليهما السلام قال في حديثه للحسن بن عبـد الرحمان الحماني: أما علم أنّ الجسـم محدود و الكلام غير المتكلّم معاذ الله و أبـرء إلى الله من هذا القـول، لا جسمٌ ولا صورة ولا تحديـدٌ و كلُّ شيء سواه مخلوق، إنّما تكوّن الأشياء بإرادتـه و مشيئته، من غير كلام و لا تردُّد في نفس ولا نطق بلسان.

و في كتاب التـوحيد (باب الكـون و المكان، الحديث الثـاني) روى عن أبي الحسن الرضا عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعـالى أيَّن الأين بـلا أين و كيَّف الكيـف بلا كيف وكان اعتماده على قدرته، فقام إليه الرَّجل فقبَّل رأسه و قال: أَشهدُ أن لا إله إلاّ اللهُ وأنّ محمّداً رسولُ اللهِ و أ نّ عليّاً وصيُّ رسولِ الله صلى الله عليه وآله والقَيّم بعده بما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّكم الأئمّة الصّادِقون و أنّك الخلف من بعدهم.

والحديث الخامس من الباب المذكور عن أمير المؤمنين ، أنه سئل عليه السلام : أينَ كان ربُّنا قبل أن يخلق سماءً و أرضاً؟ فقال عليه السلام : أينَ سؤال عن مكان! و كان الله

ولا مكان.

والحديث السابع عن زرارة قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام : أكان الله ولا شيء؟ قال: نعم كان ولا شيء قلتُ: فأين كان يكون؟ قال(زرارة): و كان متّكئاً فاستوى جالساً و قال: أحلتَ يا زرارة و سألتَ عن المكان إذ لا مكان.

عموم قدرته تعالى

وفساد القول بانّه لا يصدر منه غير الواحد بلا واسطة

من الضروريّ بحسب برهان العقل على أنّه تعالى كلّ الكمال و كلّه الكمال، و نصّ آيات القرآن الكريم و المأثورات المتواترة عن لسان الوحي و التنزيل، عموم قدرته تعالى و شمولها على كلّ شيء من دون حاجة في ايجاده لشيء إلى واسطة.

وما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أنّه لم يصدر منه تعالى إلاّ العقل الأوّل و سائر موجودات العالم صدر منه بواسطته و يستحيل صدور غيره منه تعالى بلا واسطة، فهو حصر قدرته تعالى عليه و نفى شمولها على ايجاد سائر موجودات العالم بلا واسطة.(١)

واعتذر عنه بعض بانّه ليس تحديداً في القدرة، بل القدرة إنّما تتعلّق بالممكن دون المحال.

١ـ قال الفاضل المقداد في «النافع يوم الحشر»، ص ٢٠ بعد بيان عموم قدرته تعالى: و قد نازع فيه الحكماء حيث قالوا: إنّه واحد لا يصدر عنه إلاّ واحد، و الثنويّة، حيث زعموا: إنّه لا يقدر على الشرّ، و النّظام، حيث اعتقد: انّه لا يقدر على القبيح، و البلخي، حيث منع قدرته على مثل مقدورنا، و الجبائيان، حيث أحالا قدرته على عين مقدورنا ـ إلى أن قال: ـ ولا يلزم من التعلّق الوقوع، بل الواقع بقدرته تعالى هو البعض و إن كان قادراً على الكلّ، والأشاعرة وافقوا في عموم التعلّق وادّعوا معه الوقوع.

لكنّه مدفوع بانّ القدرة لا تتعلّق بما كان ممتنع الوجود كاجتماع النّقيضين دون ما كان ممكن الوجود لكن يستحيل صدوره من هذا الفاعل لأجل أنّه ليس فيه إلاّ حيثيّة واحدة تقتضي صدور العقل الأوّل دون غيره من الموجودات إلاّ بواسطته.

وليس ذلك إلاّ تحديداً لقدرته، و عدم شمولها على ايجاد سائر الموجودات بنفسه، و عجزه عنه، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً.

و إنّما تمسّكوا في ذلك بقاعدة «الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد».

والقاعدة صحيحة كما بيّن البرهان عليها في محلّه، لكنّه إنّما وقع الوهم في مقتضاها.

فانّ نتيجة قاعدة «الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد» ـ كما يقتضيها جميع التقارير في البرهان عليها ـ هي عدم صدور الواحد من جهة واحدة، لا عدم صدوره من فاعلٍ واحد ولو مع تعدّد الجهة.

و بعبارة أُخرى: نتيجة البرهان أنّ العلّة الواحدة لا يكون لها إلاّ معلول واحد، و الفاعل المختار إنّما يصير علّة تامّة لفعل إذا تعلّق به مشيّته و حصل جميع شرائط وجود ذلك الفعل و معدّاته.

فلا استحالة في صدور أفعال كثيرة من فاعل واحد بسيط لأجل جهة خاصّة لكلّ واحد منها، كما نراه و نشاهده من أنفسنا، فإنّ النفس الناطقة لنا بوحدتها مصدر أعمالنا كلّها في جميع شؤون الحياة، وكلّ ما يصدر من جوارحنا يصدر من نفس واحدة، فانّها العلّة المحرّكة لحركات الأعضاء بأجمعها.

قال في« الأسفار» ج٦، ص ٣٧٧:

فانظر إلى أفعال المشاعر و القوى الّتي للنفس الإنسانية حيث خلقها الله تعالى مثالاً، ذاتاً و صفة وفعلاً، لذاته و صفاته وأفعاله، وا تل قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرونَ﴾ وقول رسول الله ﷺ: «من عرف نفسه فقد عرف ربّه».

صفات الله تعالى الثبوتيّة و السّلبيّة

واجب الوجود صرف الوجود و الوجود البحت، وكلّ كمال مرجعه إلى الوجود كما انّ كلّ نقيصة مرجعها إلى العدم، فهو مستجمع لجميع الصفات الكمالية الوجوديّة بالذات.

وكلّ كمال وجودي في غيره فانّه معلول له فهو معطيه و معطي الشيء لا يكون فاقداً له، والصفات السلبية راجعة إلى سلب النقائص والاعدام، وسلب السلب وجود، وسلب النقص كمال و لا سبيل للعدم إليه.

والمذكور من الصفات الثبوتية له تعالى في كتب الفلسفة و الكلام ثمانية، وهي: القدرة والعلم والحياة و الإرادة والإدراك و الأزليّة والأبديّة والتكلّم والصّدق.

ومن الصفات السلبيّة سبعة، و هي: نفي التركب والجسميّة و كونه محلاً للحوادث، وأنّه يستحيل عليه الرؤية البصرية، و نفي الشريك عنه، و نفي صفة زائدة على ذاته و نفي الافتقار له إلى غيره.

و البرهان قائم كما أشرنا إليه على ثبوت كلّ صفة كمال له تعالى و نفي كلّ صفة النقيصة عنه.

وقد جاءت في القرآن الكريم صفاته تعالى على التفصيل و مرجع أكثرها إلى صفات الفعل دون صفات الذات.

أسماء الله و صفاته في القرآن الكريم

١. الأوّل ٢. الآخر ٣. الظّاهر ٤. الباطن ٥. الواحد ٦. الأحد ٧.الصمد ٨. اللطيف ٩. السميع ١٠. العليم ١١. البصير ١٢. الخبير ١٣. القويّ ١٤. العزيز ١٥. القدير ١٦. القاهر ١٧. المحيط ١٨. الحيّ ١٩. القيّوم ٢٠. العليّ ٢١. العظيم ٢٢. المتعال ٢٣. القريب ٢٤. الحكيم ٢٥. الكبير ٢٦. الغنيّ ٢٧. الحميد ٢٨. الرقيب ٢٩. الكريم ٣٠. الشهيد على كلّ شيء ٣١. القدّوس ٣٢. السّلام ٣٣. المؤمن ٣٤. المهيمن ٣٥. الغفّار ٣٦. الخالق ٣٧. الباري ٣٨. المصوّر ٣٩. الملك ٤٠. الحقّ ٤١. البرّ ٤٢. الخلاّق ٤٣. الرزّاق ٤٤. ذو القوة ٤٥. المتين ٤٦. واسع المغفرة ٤٧. الرّحمٰن ٤٨. الرّحيم ٤٩. الرؤف ٥٠. التوّاب ٥١. الفتّاح ٥٢. القهّار ٥٣. العفوّ ٥٤. الغفور ٥٥. الحليم ٥٦. الخبير ٥٧. الولي ٥٨. الهادي ٥٩. الحفيظ ٦٠. القريب ٦١. المجيد ٦٢. الودود ٦٣. الوهّاب ٦٤. الوكيل على كلّ شيء ٦٥. الواسع ٦٦. ذو الطول ٦٧. الشاكر ٦٨. ذو الجلال والإكرام ٦٩. أهل التقوى و المغفرة ٧٠. ذو المعارج ٧١. المليك ٧٢. الحسيب ٧٣. الشكور ٧٤. المقتدر ٧٥. الوارث ٧٦. الجبّار ٧٧. المتكبّر ٧٨. الأكرم ٧٩. المولى ٨٠. الكافي ٨١. ربّ العالمين ٨٢. أرحم الرّاحمين ٨٣. مالك يوم الدّين ٨٤. بديع السّماوات والأرض ٨٥. فاطر السماوات والأرض ٨٦. ربّ الناس ٨٧. ملك الناس ٨٨. إله الناس ٨٩. علاّم الغيوب ٩٠. عالم الغيب والشهادة ٩١. ربّ الفلق ٩٢. خالق الحبّ و النوى ٩٣. فالق الاصباح ٩٤. محيي الموتى ٩٥. ربّ السماوات السبع و ربّ العرش العظيم ٩٦. نور السّماوات والأرض ٩٧. أحكم الحاكمين ٩٨. مالك الملك ٩٩. ربّ العزّة ١٠٠. ذو الرحمة ١٠١. ذو انتقام ١٠٢. غافر الذنب ١٠٣. قابل التوب ١٠٤. رفيع الدرجات ١٠٥. ذو الفضل العظيم ١٠٦. أسرع الحاسبين

١٠٧. خير الحاكمين ١٠٨. خير الفاتحين ١٠٩. خير الفاصلين ١١٠. خير الرازقين ١١١. خير الماكرين ١١٢. خير الناصرين ١١٣. خير الغافرين ١١٤. وليّ المؤمنين ١١٥. شديد المحال ١١٦. شديد العقاب ١١٧. سريع الحساب ١١٨. سريع العقاب ١١٩. ذو الرّحمة ١٢٠. ذو مغفرة و ذو عقاب أليم.

***

روى الصدوق في كتاب «التوحيد»، ص ١٩٤ و «الخصال»، ج٢، ص ٥٩٣ بسنده عن سليمان بن مهران عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال رسول الله صلى الله عليه و آله: إنّ لله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسماً مائة إلاّ و احداً، من أحصاها دخل الجنّة ... ثمّ ذكر تلك الأسماء على التفصيل.

و رواه في «التوحيد» بسند آخر عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام عن أبيه عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه و آله، و لكنّه لم يذكر تفصيل الأسماء.

و قال في «الخصال» وقد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة و ألفاظ مختلفة.

أقول: ما ورد في الحديث من أسمائه تعالى قد تقدّم بعضها فيما سردناه من أسماء الله و صفاته في القرآن الكريم و أمّا غير المذكور منها فيما سردناه و إن كانت غير واردة في آيات القرآن، لكنّ فيها ما يشهد بثبوتها له تعالى، و هي: ١ـ الصانع، و يشهد له قوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللهِ الّذي أتقنَ كُلَّ شيءٍ**﴾ (النمل/ ٨٨). ٢ـ القديم، و يشهد له قوله تعالى: ﴿**هُوَ الأَوّل وَ الآخِر**﴾ (الحديد/ ٣) ٣ـ الباقي، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**وَ اللهُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ**﴾ (طه/ ٧٣) ٤ـ الفرد ٥ـ الوتر، و يشهد لهما قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ**﴾ (التوحيد/ ١). ٦ـ الجليل، ويشهد له قوله تعالى: ﴿**تَبارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ و الإِكْرام**﴾ (الرّحمن/ ٧٨). ٧ـ السبّوح، و يشهد له آيات كثيرة كقوله تعالى: ﴿**سُبْحانَ اللهَ عَمّا يَصِفُونَ**﴾ (الصافات/ ١٥٩). ٨ـ العدل، و يشهد له قوله تعالى: ﴿**وَ تَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدقاً**

وَ عَدْلاً﴾ (الأنعام/ ١١٥). ٩ـ الطاهر، و يشهد له قوله تعالى: ﴿لا إله إلاّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوس﴾ (الحشر/ ٢٣).)١٠ـ القريب ، و يشهد له قوله تعالى: ﴿وَ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيد﴾ (ق/ ١٦). ١١ـ الذاري و يشهد له قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ (الملك / ٢٤) . ١٢ـ المنّان و يشهد له قوله تعالى: ﴿وَلكنّ الله يمنّ عَلىٰ مَنْ يَشٰاء مِنْ عِبٰادِهِ﴾(إبراهيم/ ١١). ١٣ـ الشافي ، و يشهد له قوله تعالى : ﴿وَ إِذٰا مرضتَ فَهُوَ يَشْفِين﴾ (الشعراء/ ٨٠) ﴿وَ نُنَزِّلُ مِنْ الْقُرآنِ مٰا هُوَ شِفٰاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمؤمنين﴾ (الاسراء/ ٨٢). ١٤ـ الجواد، و يشهد له قوله تعالى : ﴿وَ اللهُ خَيْر الرّازِقين﴾ . (الجمعة/ ١١). ١٥ـ الناصر، و يشهد له قوله تعالى : ﴿بَلِ اللهُ مَوْلاكُمْ وَ هُوَ خَيْرُ النّاصِرينَ﴾ (آل عمران/ ١٥٠) . ١٦ـ الوفي، و يشهد له قوله تعالى : ﴿أوفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ (البقرة/ ٤٠). ١٧و ١٨ـ القابض الباسط، و يشهد لهما قوله تعالى: ﴿وَ اللهُ يَقْبِضُ وَ يَبْسُطُ﴾ (البقرة/ ٢٤٥). ١٩ـ السيّد، ويشهد له قوله تعالى: ﴿هُوَ مَولاكُمْ فَنِعْمَ الْمَولىٰ وَنِعْمَ النَّصير﴾ (الحجّ/ ٧٨). ٢٠ـ الرائي، و يشهد له قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرىٰ﴾ (العلق/ ١٤). ٢١ـ قاضي الحاجات و يشهد له قوله تعالى: ﴿ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (غافر/ ٦٠). ٢٢ـ الديان، ويشهد له قوله تعالى: ﴿مٰالِكِ يَوْم الدّين﴾ . (الحمد/ ٣). ٢٣ـ الباعث، و يشهد له قوله تعالى: ﴿وَ الْمَوْتىٰ يَبْعَثُهُمُ اللهُ﴾ (الأنعام/ ٣٦). ٢٤ـ المغيث و الغياث و يشهد له قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغيثُون ربّكم فَاسْتَجٰابَ لَكُمْ﴾(الأنفال/ ٩).

كثرة أسمائه تعالى في الأدعية المأثورة

قد ورد في الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام ، أسماء وصفات كثيرة لله سبحانه و تعالى. فقد ورد في «دعاء الجوشن الكبير» المرويّ عن النبيّ ﷺ (ألف) اسم من أسمائه تعالى، فإنّه مشتمل على (مائة) فصل، وكلّ فصل مشتمل

على (عشرة) أسماءٍ من أسمائه تعالى.

لكنّها كلّها تفاصيل الأسماء والصفات الواردة في القرآن الكريم، و مرجعها كلّها إليها، كما أنّ المذكورات في القرآن الكريم أيضاً يرجع بعضها إلى بعض، وأكثرها أسماء الأفعال الّتي مرجعها إلى صفات الذّات.

***

العدل

و تنزيه الساحة الربوبيّة من الظلم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذرّةٍ﴾. (النساء/ ٤٠)

والآيات المشتملة على تنزيه السّاحة الربوبيّة عن الظلم كثيرة منها:

١. هود/ ١٠١، ٢. النحل/ ٣، ٣. الزخرف/ ٧٦، ٤. آل عمران/ ١١٧، ٥. ق/ ٢٩، ٦. النحل/ ٣٣، ٧. البقرة/ ٢٧٩، ٨. يونس/ ٤٤، ٩. الكهف/ ٤٩، ١٠. التوبة/ ٧٠، ١١. العنكبوت/ ٤٠، ١٢. الروم/ ٩، ١٣. آل عمران/ ١١٧، ١٤. الأنبياء/ ٤٧، ١٥. يس/ ٥٤، ١٦. النساء/ ٧٧، ١٧. الأنفال/ ٦٠، ١٨. البقرة/ ٢٨١، ١٩. آل عمران/ ٢٥، ٢٠. آل عمران/ ١٦١، ٢١. النساء / ٤٩، ٢٢. النساء/ ١٢٤، ٢٣. الأنعام/ ١٦٠، ٢٤. يونس/ ٤٧، ٢٥. يونس/ ٥٤، ٢٦. النحل/ ١١١، ٢٧. الاسراء/ ٧١، ٢٨. مريم / ٦٠، ٢٩. المؤمنون/ ٦٢، ٣٠. الزمر/ ٦٩، ٣١. الجاثية/ ٢٢، ٣٢. الأحقاف/ ١٩، ٣٣. غافر/ ١٧، ٣٤. آل عمران/ ١٠٨، ٣٥. غافر/ ٣١، ٣٦. آل عمران/ ١٨٢، ٣٧. الأنفال/ ٥١، ٣٨. الحج / ١٠، ٣٩. فصلت / ٤٦، ٤٠. ق / ٢٩.

أمّا نفي الظلم عنه تعالى في الآخرة فيدلّ عليه قوله تعالى:

﴿**مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزىٰ إِلاّ مِثْلها وَ هُمْ لا يُظْلَمُون**﴾.(الأنعام/ ١٦٠)

وأمّـا نفي الظلـم عنـه تعـالى في الدنيـا، فيتّضـح ذلـك بتشريح البـلايـا و المصيبات في الدنيا فنقول: إنّ البلايا و المصيبات التي ترد على الإنسان مدّة عمره و طيلة حياته لا تخرج عن هذه الأقسام:

١. البـلايا و المصيبـات الّتي يـوجدهـا الإنسـان بنفسه كـالابتلاء بـا لموادّ المخدّرة، و من هذا القبيل الابتلاء بتوابع الكذب والخيانة وسائر المعاصي الّتي لها أثر وضعيّ في الحياة الدنيا بالنسبة إلى مـرتكبها، فمن المعلوم أنّ الظالم هناك ليس إلاّ نفس الإنسان المرتكب لها.

قـال الله تعـالى: **﴿وَ مٰـا ظَلَمْنٰـاهُـمْ وَ لٰكِـنْ كٰـانُـوا أَنْفُسَهُـمْ يَظْلِمُـونَ﴾** (النحل/ ١١٨).

وقـال تعـالى: **﴿وَ مٰـا ظَلَمَهُـمُ اللهُ وَلٰكِـنْ كٰـانُـوا أَنفُسَهُـمْ يَظْلِمُـونَ﴾** (النحل/ ٣٤).

وقال تعالى: **﴿وَ مٰـا كٰانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُـمْ وَ لٰكِنْ كٰـانُـوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُـونَ﴾** (العنكبوت/ ٤٠).

وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ لاٰ يَظْلِمِ النّاسَ شَيْئاً وَ لكنّ النّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** (يونس/ ٤٤).

٢. البلايا والمصيبات المتوجّهة إلى الإنسان بظلم الظالمين و تجاوز المعتدين بالتعدّي إلى نفسه أو ماله أو عرضه أو أهله أو أولاده، فالله تعالى هو الحاكم بينهم بالعدل.

فقال سبحانـه وتعالى: **﴿وَ نَضَعُ الْمَـوازِينَ القِسْطَ لِيَـومِ القِيامَةِ فَـلاٰ تُظْلَمُ نَفْـسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كٰـانَ مِثْقالَ حَبّـةٍ مِـنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنٰـا بِهٰـا وَ كَفىٰ بِنٰـا حٰاسِبِيـنَ﴾** . (الأنبياء/ ٤٧)

٣. البلايا الّتـي تنزل على أفراد الإنسان لأجل التنبيه والإيقـاظ من الغفلة ،

وذلك لطف من الله سبحانه و تعالى.

فقال تعالى: ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا إِلىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْناهُمْ بِالْبَأْساءِ والضَّرّاء لعلّهُمْ يَتَضَرّعُونَ﴾ .(الأنعام/ ٤٢)

٤. البلايا والمصيبات الّتي تتوجّه إلى الإنسان لأجل الامتحان ليثيبهم بأجر ما صبروا.

قال تعالى: ﴿وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَ الأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصّابِرينَ* الّذِينَ إِذٰا أَصٰابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قٰالُوا إِنّا للهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رٰاجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾. (البقرة/ ١٥٥_١٥٧)

٥. البلايا و المصيبات الّتي هي عقوبة من الله سبحانه و تعالى للسّيّئات الصادرة من الإنسان.

قال الله تعالى: ﴿مٰا أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ .(الشورى/ ٣٠)

***

النبـوّة

﴿رَبَّنٰا إِنَّنٰا سَمِعْنٰا مُنٰادِياً يُنٰادِي لِلإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنّـا رَبَّنٰا فَاْغْفِرْ لَنٰا ذُنُوبَنٰا وَ كَفِّرْ عَنّا سَيِّئٰـاتِنٰا وَتَوَفَّنٰا مَعَ الأَبْرارِ* رَبَّنٰا وَآتِنٰا مٰـا وَعَدْتَنٰا عَلىٰ رُسُلِكَ وَ لاٰ تُخْزِنٰا يَوْمَ الْقِيٰامَةِ إِنَّكَ لاٰ تُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾. (آل عمران/ ١٩٣ـ١٩٤)

لا يخفى عليك أنّ العقل يحكم بعد معرفـة الله سبحانه و تعالى بأنّ الإنسان بشراشر وجوده مِلـكٌ حقيقيٌ لـه تعالى، وأيّ فعـل صدر منـه تصرّفٌ في مِلك الله سبحانـه و تعالى، فضلاً عن تصرّفـه في سائر الموجودات، و العقل لا يـرخّص ولا يجوّز له أيّ فعل صدر منه بدون إذنه تعالى. و هذا بيان عقلي يرتفع به قبح العقاب بـلا بيـان يوجـب مخالفتـه استحقـاق العقـوبـة و السقوط في حضيـض الـذل و الضلالـة. على انّ الإنسان اجتماعـي بحسب طبعه و خلقتـه ولابدّ مـن أحكام و قوانين الهيّـة تكون فصـلاً بين حقوق أفـراد الإنسان بعضهـا على بعض في الحيـاة الاجتماعيّة و يتبيّن بها حقوق كـلّ إنسان على غيره و القوانين الموضوعة مـن ناحية الحكومات و مجالـس التقنين لا يثبت حقاً واقعيّاً يستكشـف بها ما هو تجاوز على حقّ الغير الّذي جعلـه الخالق سبحانه و تعالى له. فمقتضـى رأفة الله و رحمته على أفراد الإنسان بعث النبي و إرسال الرسول إليهم يخبرهم بالحلال والحرام و ما أمر الله به و ما ينهاهم عنه، و ما جعله من الحقوق لبعض أفراد الإنسان على بعض.

هذا مضافاً إلى انّ العبادة لله سبحانه و تعالى الّتي هي الداعيّة على خلق بني نوع الإنسان كما نطق بها القرآن الكريم: ﴿وَمٰا خَلَقْتُ الجِنَّ وَ الإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونَ﴾ .(الذاريات/ ٥٦)

والعبادة تحتاج إلى بعث نبيّ يبلّغ أوامر الله سبحانه و تعالى ونواهيه. و يبيّن الأعمال الّتي جعلها عبادة لنفسه. فإنّ ما جعله العبد عبادة من عنده لا يصير عبادة عند الله سبحانه و تعالى.

و بالجملة انّ في بعثة النبيّ إرقاء الإنسان و هدايته إلى غاية كماله

الإيمان بجميع أنبياء الله و رسله في الإسلام

وقد أمر القرآن الكريم بالإيمان بجميع أنبياء الله و رسله فقال:

﴿قُلْ آمَنّا بِاللهِ وَمٰا أُنْزِلَ عَلَيْنٰا وَمٰا أُنْزِلَ عَلىٰ إِبْراهيمَ وَإِسْمٰاعِيلَ وَ إِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَ مٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَ عيسىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. (آل عمران/ ٨٤)

﴿قُولُوا آمَنّا بِاللهِ وَمٰا أُنْزِلَ إِلَيْنٰا وَمٰا أُنْزِلَ إِلىٰ إِبْراهيمَ وَ إِسْماعِيلَ وَإِسْحٰاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْباطِ وَمٰا أُوتِيَ مُوسىٰ وَعيسىٰ وَمٰا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ .(البقرة/ ٣٦)

﴿المُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلاٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاٰ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقٰالُوا سَمِعْنٰا وَأَطَعْنٰا غُفْرانَكَ رَبَّنٰا وَإِلَيْكَ الْمَصِير﴾ .(البقرة/ ٢٨٥)

ثبوت النبوّة من قبل الله تعالى بالمعجزة

لابدّ من اقتران دعوى النبوّة و الإمامة الالهيّة بالمعجزة وإلاّ لم يثبت كونهما من قبل الله سبحانه و تعالى.

والمعجزة: هي الأمر الخارق للعادة، غير المقدور لأفراد البشر، المطابق للدّعوى، المقرون بالتحدّي (أي الاستشهاد بها على صدق دعوى النبوة أو الامامة).

وقولنا: غير المقدور لأفراد البشر، يخرج بذلك الصنايع بالآلات الطبيعيّة، و كذا السّحر والشعبذة.

وقولنا: المطابق للدعوى، لانّه لو كان عكسها لدلّ على كذب المدّعى، كما نقل عن مسيلمة الكذاب.

وقولنا: المقرون بالتحدّي، لأنّه لو لم يقترن بالاستشهاد على صدق دعوى النبوة أو الإمامة لا يسمّى معجزة بل كرامة.

فإن اقترن بدعوى النبوة أو الإمامة من قبل الله سبحانه و تعالى، كان اجراء خارق العادة منه تعالى على يده شاهداً على صدقه في دعواه.

معجزات خاتم الأنبياء محمّد بن عبد الله ﷺ

معجزاته صلوات الله عليه على أنواع:

النّوع الأوّل

وجوه اعجاز القرآن الكريم

القرآن ينادي أفراد البشر في جميع أقطار الأرض في جميع القرون المتتالية المتوالية بالعجز عن معارضته، و سيجيء بيان وجوه اعجازه.

النوع الثاني

المعجزات السماويّة والغرائب العلويّة، من انشقاق القمر، و ردّ الشّمس، و حبسها، و اظلال الغمامة، و ظهور الشهب، و نزول الموائد و النعم من السّماء قال

الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَ إِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَ يَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾. (القمر/ ١ـ٢)

وقد أورد شرح معجزة شقّ القمر و جملة أُخرى من معجزاته السماويّة في «البحار»، ج١٧، ص ٣٤٧ـ ٣٦٢.

النوع الثالث

معجزاته ﷺ في اطاعة الأرضيّات من الجمادات والنباتات و تكلّمها معه أورد جملة من وقائعها في «البحار»، ج١٧، ص ٣٦٣ـ ٣٩٠.

النوع الرابع

ما ظهر من معجزاته في الحيوانات بأنواعها و اخبارها بحقّانيّته، و فيه كلام الشاة المسمومة وغيرها.

أورد جملة من وقائعها في «البحار»، ج١٧، ص ٣٩٠ـ ٤٢١.

النوع الخامس

ما ظهر من معجزاته في الجمادات، و نطقها بالشهادة على نبوّته.

أورد جملة من هذا النوع من معجزاته ﷺ و كذا النوع السّابق في «مناقب ابن شهر آشوب»، ج١، ص ١٣٣ـ ١٣٧ و ص ٩٠ـ ٩٤.

النوع السادس

احياء الموتى و التكلّم معهم، و شفاء المرضى، و غيرها.

أورد جملة من وقائعها في «البحار»، ج١٨، ص ١ـ٢٣.

النوع السابع

ما ظهر من اعجازه ﷺ من بركة أعضائه الشريفة من تكثير الطعام

والشراب.

مثل انّه ﷺ رآى عمرة بنت رواحة تذهب بتميرات إلى أبيها يوم الخندق فقال: اجعليها على يدي ثمّ جعلها على نطع فجعل يربو حتّى أكل منه ثلاثة آلاف رجل.

أورد جملة من هذا النّوع من المعجزات في «مناقب ابن شهر اشوب»، ج١، ص ١٠٢ـ١٠٦.

النوع الثامن

معجزاته ﷺ في استيلائه على الجنّ و الشياطين و إيمان بعض الجنّ به.

أورد جملة منها في «البحار»، ج١٨، ص ٧٦ـ ٩١.

النوع التاسع

معجزاته ﷺ في اخباره با لمغيبات.

وهي كثيرة ذكر جملة منها في «البحار»، ج١٨، ص ١٠٥ـ ١٤٧.

النوع العاشر

تعليماته العالية في الالهيات، فإنّ تعليماته فيها أوسع باب فتح للبشر المحصور في عالم الطبيعة إلى المبدأ والمعاد، و أرقى مرقاةٍ إلى أوج العرفان و الوصول إلى مدارج التوحيد، وقد اعترف الفلاسفة الالهيّون بذلك و أناخوا مطاياهم دون الدنوّ إلى ادراك كنه حقائق بياناته.

قال سيّد الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام في وصيّته إلى ابنه الحسن عليه السلام. كما في نهج البلاغة، كتاب ٣٠:

وَاعْلَمْ يا بُنَـيَّ، أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَما أَنبأَ عَنْـهُ الرَّسُولُ ﷺ، فَارْضَ بِهِ رائِداً، وَإِلَى النَّجاةِ قائِداً، فَإِنّي لَـمْ آلُكَ نَصِيحَةً، وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ

وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ.

النوع الحادي عشر

تعليماته العالية في العبوديّة لله سبحانه و تعالى والارتباط معه و الاتصال إليه و تعليماته في ارقاء الإنسان إلى ذروة الكمالات الإنسانيّة بالتحلّي با لمحاسن و التحريز عن المساوي في شؤون الحياة الإنسانيّة، وقد تصدّينا لجمع المحاسن و المساوي للإنسان الواردة في شريعة الإسلام في موسوعة «المحاسن و المساوي في الإسلام» مع ضبط مداركها من الآيات والروايات ، بما يبلغ تعدادها الآلاف.

وقد وضعناها على ترتيب حروف المعجم، و تعدادها في حرف الألف فقط خمس وخمسمائة.

النوع الثاني عشر

تفصيل قوانين الإسلام في جميع شؤون حياة الإنسان من الأحوال الشخصيّة والاجتماعيّة والحقوقيّة والجزائية و القضائية والاقتصاديّة والسياسيّة.

يعرف كونها من منبع الوحي والالهام بالمقايسة إلى القوانين البشريّة في الجوامع والملل طيلة القرون المتمادية إلى القرن الحاضر.

النوع الثالث عشر

معجزات أعضائه الشريفة.

راجع في تفصيلها إلى كتاب «براهين المعارف الإلهيّة».

النوع الرابع عشر

ما جاء في كتب الأنبياء قبله من تصديقه و توصيفه بصفاته و علاماته و الدلالة على وقته و مكانه و ولادته و أحوال آبائه و أُمّهاته، راجع إلى «براهين المعارف الإلهيّة».

النوع الخامس عشر

أخلاقه و آدابه و سيرته و أحواله الخارقة للعادة راجع كتب السيرة كسيرة ابن هشام و غيرها. وقد بيّنّا في «براهين المعارف الإلهيّة» تسعة من وجوه أفعال نبيّ الإسلام الحاكية عن صدق دعواه في رسالته، و من جملتها«تكامل الفضل فيه» و بيّناه من خمس عشر جهة.

النوع السادس عشر

الهواتف في المنام و ما سمع من الأصنام من الشّهادة على نبوّته.

ذكر جملة منها في «مناقب ابن شهر اشوب»، ج١، ص ٨٦ـ٩٠.

مثل حديث مازن: انّه لما نحر عتيرة سمع من صنمه: بعث نبيٌّ من مضر..فدع نحيتاً من حجر ، ثمّ نحر نحرة أُخرى، فسمع منه: هذا نبيٌّ مرسلٌ... جاء بخير منزلٍ.

النوع السابع عشر

معجزاته ﷺ في كفاية أعدائه، كما نطق بها القرآن الكريم أيضاً.

قال الله تعالى: ﴿إِنّا كَفَيْنٰاكَ الْمُسْتَهْزِئينَ﴾ .(الحجر/ ٩٥)

وقال تعالى: ﴿وَ إِذٰا قَرَأْتَ الْقُرآنَ جَعَلْنٰا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الّذينَ لا يؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ حِجٰاباً مَسْتُوراً﴾.(الاسراء/ ٤٥ـ٤٦)

و قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكٰافٍ عَبْدَهُ وَ يُخَوّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَ مَنْ يُضْلِلِ الله فَمٰا لَهُ مِنْ هٰادٍ﴾.(الزمر/ ٣٦)

وقال تعالى : ﴿يٰا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اُذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَومٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيديهِمْ فَكَفَّ أَيديهم عَنكُمْ﴾ . (المائدة/ ١١)

وقد ذكر جملة من مواردها في «البحار»، ج١٨، ص ٤٥ـ ٧٥.

النوع الثامن عشر

اخباراته الغيبيّة

راجع في تفصيلها إلى «براهين المعارف الإلهيّة».

النوع التاسع عشر

استجابة دعواته

ذكر جملة منها في «مناقب ابن شهر اشوب»، ج١، ص ٧٨ـ ٨٥.

النوع العشرون

معجزاته في أفعاله

ذكر جملة منها في «مناقب ابن شهر اشوب»، ج١، ص ١١٥ـ ١٢٣.

النوع الحادي و العشرون

المفردات من معجزاته

ذكرها في «مناقب ابن شهر اشوب»، ج١، ص ١٣٧ـ ١٣٩.

النوع الثاني و العشرون

ما ظهر من معجزاته بعد وفاته

ذكر جملة منها في «مناقب ابن شهر اشوب»، ص ١٣٩ـ ١٤٢.

وقد كان انتشار الإسلام بما لم يسبق له مثيل ـ في أقلّ من قرنٍ آية كبرى على صدق نبوّته و صحّتها: فقد رحبت به القلوب، و تسابقت إليه النفوس، و عمّ نوره الأرجاء و عقد شعاعه الشمال بالجنوب، و الشرق بالغرب، و انتفع العالم بما في الإسلام، من النّبل والبأس، والنجدة، و الحقّ، و الهدى، و المدنيّة الصحيحة.

***

القــرآن الكريــــم
و وجوه اعجازه

المعجزة الباقية الخالـدة لخاتم الأنبياء ﷺ التي ينبغي لنبي كـانت شريعته مستمرة إلى يوم القيامـة هي القرآن الكريم يتلو عليهـم آياته في كلّ عصر وأوان و يدعوهم با لمعارضة و يعجزهم عن الإتيان بمثله.

ففي سورة البقرة، الآية ٢٣:

﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ فِـي رَيْبٍ مِمّـا نَزَّلْنا عَلـى عَبْدِنـا فَأْتُوا بِسُـورَةٍ مِنْ مِثْلِـهِ وَٱدْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقين﴾ .

وفي سورة الاسراء، الآية ٨٨:

﴿قُلْ لَئِنِ ٱجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَ الجنّ عَلىٰ أَنْ يَـأْتُوا بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرآن لاٰ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كٰانَ بَعضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهيراً﴾ .

وفي سورة يونس، الآية ٣٨:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفتراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ .

و في سورة هود ، الآية ١٣:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَراهُ فَـأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفتريات وَٱدْعُـوا مِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صٰادِقين﴾ .

و في سورة الطور، الآية ٣٤:
﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صادِقِين﴾ .

١ـ اعجاز القرآن من حيث البلاغة:

قال في «الميزان» ج١، ص ٦٨: التاريخ لا يرتـاب أنّ العرب العرباء بلغت من البلاغة في الكلام مبلغـاً لم يذكره التاريخ لواحدة من الأُمـم المتقدمة عليهم و المتأخرة عنهم و وطئوا موطئاً لم تطأه أقدام غيرهم في كمال البيان و جزالة النظم و وفاء اللفظ و رعـاية المقام و سهولـة المنطق. و قد تحدى عليهم القـرآن بكلّ تحد ممكن مما يثير الحميـة و يوقد نار الأنفـة والعصبية. و حالهم في الغرور ببضـاعتهم والاستكبار عـن الخضوع للغير في صناعتهـم مما لا يرتاب فيـه، و قد طالـت مدّة التحدّي و تمادى زمان الإستنهاض فلم يجيبوه إلاّ بالتجافي و لم يزدهم إلاّ العجز و لم يكـن منهم إلاّ الإستخفـاء والفـرار، كما قال تعـالى: ﴿أَلا انّهُمْ يَثْنُونَ صُدورهم لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حينَ يَسْتَغْشونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ ما يُسِرُّونَ وَ ما يُعْلِنُونَ﴾ . هود:٥.

وقد مضى من القرون والأحقاب ما يبلغ أربعة عشر قرناً و لم يأت بها يناظره آت و لم يعارضه أحد بشيء إلاّ أخزى نفسه و افتضح في أمره.

٢ـ اعجاز القرآن من حيث مضامينه العالية:

القرآن مشتمـل على نظام كـامل وسيـع يشمل جميـع شؤون الإنسـانية مـن حيث الاعتقادات و الأخلاقيات و عموم أفعال الإنسان و يباحث عن دقائقها و جزئياتها.

قال العلاّمة الطباطبائي‌ﷺ :وهذا النظام الوسيع بشراشره قائم على اسّ و أساس واحـد و هو التـوحيد و جميـع معارف القـرآن يستنتج منـه و يتفرّع عليـه، الإسلام مترتبطة فروعها بالأُصول وأُصولها بالفروع وكلّ حكم له في كلّ باب يرجع

بالتجزية إلى التوحيد و التوحيد يرجع بالتركيب إلى تلك الفروع، و تنظيم هذا النظام بهذا الاتقان خارج عن قدرة أي عالم حقوقي في القرن الحاضر بعد تكامل العلوم و تراكم أفكار العلماء طيلة القرون المتوالية في كلّ قرن على مكتشفات القرون السابقة فضلاً عن إنسان أُمّي لم يتلمذ لأحد و عاش في جمعية وحشية عارية عن شؤون التمدن و قد شغل عمره الابتلائات الكثيرة الشخصية والنوعية و المحاربات الممتدة مع الأعداء المحيطة به من كلّ الجوانب و هو بعد يقوم وحيداً فريداً بحذاء جميع العالم و يدعوهم لدينه و يهديهم إلى ربّه.

وقال في «الميزان» ج١، ص ٦٠: فهل يتأتى القوة البشرية أن يختلق معارف إلهية مبرهنة تقابل ما أتى به القرآن و تماثله في الحقيقة؟ و هل يمكنها أن تأتي بأخلاق مبنية على أساس الحقائق تعادل ما أتى به القرآن في الصفاء و الفضيلة؟ وهل يمكنها أن يشرّع أحكاماً تامة فقهية تحصي جميع أعمال البشر من غير اختلاف يؤدي إلى التناقض مع حفظ روح التوحيد و كلمة التقوى في كلّ حكم و نتيجته، و سريان الطهارة في أصله و فرعه؟ و هل يمكن أن يصدر هذا الإحصاء العجيب و الإتقان الغريب من رجل أُمّي لم يترب إلاّ في حجر قوم حظهم من الإنسانية على مزاياها التي لا تحصى وكمالاتها التي لا تغيّا أن يرتزقوا بالغارات والغزوات و نهب الأموال و أن يئدوا البنات و يقتلوا الأولاد خشية إملاق و يفتخروا بالآباء و ينكحوا الأُمّهات و يتباهوا بالفجور ويذموا العلم ويتظاهروا بالجهل و هم على أنفتهم و حميتهم الكاذبة أذلاء لكلّ مستذلّ و خطفة لكلّ خاطف فيوماً لليمن و يوماً للحبشة ويوماً للروم و يوماً للفرس؟ فهذا حال عرب الحجاز في الجاهلية.

وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثمّ يودعه أخباراً في الغيب ممّا مضى و يستقبل و فيمن خلت من الأُمم و فيمن سيقدم منهم لا بالواحد والإثنين في أبواب مختلفة من القصص والملاحم و المغيبات المستقبلة

ثمّ لا يتخلف شيء منها عن صراط الصدق؟

وهـل يتمكن إنسـان وهـو أحد أجـزاء نشـأة الطبيعـة المادية؛ والـدار دار التحول و التكامل؛ أن يـداخل في كلّ شأن من شؤون العـالم الإنساني و يلقي إلى الدنيا معـارف و علوماً و قوانين وحكماً و مـواعظ وأمثالاً و قصصاً في كـلّ ما دقّ وجلّ ثمّ لا يختلف حاله في شيء منها في الكمال و النقـص و هي متدرجة الوجود متفرقة الألقاء و فيها ما ظهر ثمّ تكرر و فيها فروع متفرعة على أُصولها؟ هذا مع ما نراه أنّ كلّ إنسان لا يبقى من حيث كمال العمل، ونقصه على حال واحدة.

فالإنسان اللبيـب القادر على تعقّل هذه المعاني لا يشـكّ في أنّ هذه المزايا الكلية وغيرهـا ممّا يشتمـل عليه القـرآن الشريف كلّهـا فوق القـوة البشرية و وراء الوسائل الطبيعية المادية و إن لم يقدر على ذلك فلم يضل في إنسانيته و لم ينس ما يحكم به وجدانه الفطري أن يراجـع فيما لا يحسن إختباره و يجهل مأخذه إلى أهل الخبرة به.

٣ـ اعجازه من حيث الاتقان في المعاني:

قال العلاّمة الخوئي في «البيان»، ص ٨١:

تعرض القرآن الكريم لمواضيع كثيرة العدد، متباعدة الأغراض من الإلهيات والمعارف و بدء الخلـق و المعاد، و ما وراء الطبيعة من الـروح و الملك و إبليس و الجنّ، و للفلكيات والأرض، والتاريـخ، و شؤون فريق مـن الأنبياء الماضين، و ما جـرى بينهم و بين أُممهـم، و للأمثـال و الاحتجـاجات والأخـلاقيات، والحقـوق العائليـة، والسياسات المدنية، والنظـم الاجتماعية و الحربية، والقضـاء والقدر، و الكسب والاختيـار، والعبادات والمعـاملات، و النكـاح والطلاق، والفـرائض، و الحدود والقصاص وغير ذلك.

وقد أتى في جميع ذلك بالحقائق الراهنة، التي لا يتطرق إليها الفساد و النقد في أيّة جهة من جهاتها، ولا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها و هذا شيء يمتنع وقوعه عادة من البشر ـ و لا سيّما ممن نشأ بين أُمّة جاهلة لا نصيب لها من المعارف، ولا غيرها من العلوم ـ و لذلك نجد كلّ من ألف في علم من العلوم النظرية، لا تمضى على مؤلفه مدّة حتى يتضح بطلان كثير من آرائه. فانّ العلوم النظرية كلّما ازداد البحث فيها و كثر، ازدادت الحقائق فيها وضوحاً، وظهر للمتأخر خلاف ما أثبته المتقدّم، والحقيقة ـ كما يقولون ـ بنت البحث و كم ترك الأوّل للآخر. و لهذا نرى كتب الفلاسفة الأقدمين و من تأخّر عنهم من أهل التحقيق و النظر قد صارت عرضة لسهام النقد ممّن تأخر، حتى أنّ بعض ما اعتقده السابقون برهاناً يقيناً، أصبح بعد نقده وهماً من الأوهام، و خيالاً من الأخيلة.

٤ـ اعجاز القرآن من حيث عدم الاختلاف فيه:

قال في «الميزان» ج١،ص ٦٦ـ٦٧:

من الضروري أنّ النشأة نشأة المادة والقانون الحاكم فيها قانون التحول والتكامل فما من موجود من الموجودات التي هي أجزاء هذا العالم إلاّ و هو متدرج الوجود متوجه من الضعف إلى القوّة ومن النقص إلى الكمال في ذاته و جميع توابع ذاته و لواحقه من الأفعال والآثار و من جملتها الإنسان الذي لا يزال يتحول و يتكامل في وجوده و أفعاله و آثاره التي منها آثاره التي يتوسل إليها بالفكر والإدراك ، فما من واحد منّا إلاّ و هو يرى نفسه كلّ يوم أكمل من أمس و لا يزال يعثر في الحين الثاني على سقطات في أفعاله و عثرات في أقواله الصادرة منه في الحين الأوّل، هذا أمر لا ينكره من نفسه إنسان ذو شعور.

وهذا الكتاب جاء به النبيﷺنجوماً و قرأه على الناس قطعاً قطعاً في مدّة ثلاث وعشرين سنة في أحوال مختلفة و شرائط متفاوتة في مكة و المدينة في الليل والنهار والحضر والسفر والحرب و السلم في يوم العسرة و في يوم الغلبة و يوم الأمن و يوم الخوف، و لإلقاء المعارف الإلهية و تعليم الأخلاق الفاضلة و تقنين الأحكام الدينية في جميع أبواب الحاجة، ولا يوجد فيه أدنى اختلاف في النظم المتشابه؛ كتاباً متشابهاً مثاني، ولم يقع في المعارف التي ألقاها و الأُصول التي أعطاها إختلاف بتناقض بعضها مع بعض و تنافي شيء منها مع آخر، فالآية تفسر الآية و البعض يبيّن البعض، والجملة تصدق الجملة كما قال علي عليه السلام: «ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض». ولو كان من عند غير الله لاختلف النظم في الحسن والبهاء والقول في الشداقة و البلاغة والمعنى من حيث الفساد و الصحّة و من حيث الإتقان والمتانة.

٥ـ اعجاز القرآن من حيث الاخبار عن المغيبات:

أخبر القرآن الكريم عن أُمور مهمّة و قد كان في جميع ما أخبر به صادقاً لم يخالف الواقع في شيء منها، وأنواع المغيبات التي أخبر منها القرآن ثمانية، راجع في تفصيلها إلى كتاب «جامع البراهين الإلهيّة».

٦ـ اعجاز القرآن من حيث قوّة التأثير و شدّة الجاذبة:

كلّ من استمع القرآن و تأمّل فيه يدرك أنّ القرآن ليس إلّا صدقاً محضاً بريئاً من الافتراء على الله، و انّ النبيّ الأكرم ﷺ لم يفتره على الله، و لأجل هذه الخصيصة عجز غيره عن تنسيق مثله. فانّ ما نسقه أيّ شخص و اخترعه من عند نفسه افتراء على الله وكذباً عليه، يستحيل أن تكون فيه جاذبة الكلام الصادق الحقّ الّذي صدر عن منبع الوحي، وهذا التأثير العجيب والجاذبة الخاصة لكلام الله،

اعترف به أعداء القرآن و عبروا عنه بالسحر حتى حكى ذلك عنهم في قوله تعالى: ﴿وَ قالُوا مَهْما تَأْتِنا مِنْ آيةٍ لِتَسْحَرَنا بِها فَما نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمنين﴾ (سورة الأعراف/ ١٣٢) وقوله تعالى: ﴿وَ قالَ الّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إنْ هٰذا إلاّ سِحْرٌ مُبين﴾ (المائدة/ ١١٠) و قوله تعالى: ﴿فَلَمّا جاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنا قالُوا إنْ هٰذا إلاّ سِحْرٌ مُبين﴾ (يونس/ ٧٦).

تحدّى القرآن الكريم :

تحدّى القرآن الكريم باعجازه من وجوه:

١ـ تحدّيه بالبلاغة، كما في سورة يونس/ ٣٨ :﴿أَمْ يَقُولُونَ اْفْتَراهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاْدْعُوا مَنِ اْسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ صادِقين﴾ والآية مكّية و فيها التحدي بالنظم و البلاغة، فانّ ذلك هو الشأن الظاهر من شؤون العرب المخاطبين بالآيات يومئذٍ.

٢ـ تحدّيه بمن أنزل إليه، قد تحدى بالنبي الأُمّي الّذي لم يتعلم عند معلم بقوله تعالى في سورة يونس/ ١٦ : ﴿قُلْ لَوْ شاءَ اللهُ ما تَلَوتُهُ عَلَيْكُمْ وَ لا أدريكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتَ فيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ .

٣ـ تحدّيه بالعلم، كقوله تعالى في سورة النحل/ ٨٩: ﴿وَ نَزَّلنا عَلَيْكَ الْكِتابَ تِبياناً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ وفي سورة الأنعام/ ٥٩: ﴿ولا رَطْبٍ وَ لا يابِسٍ إلاّ فِي كِتابٍ مُبينٍ﴾.

٤ـ تحدّيه بالاخبار عن الغيب، و قد تحدى به في آيات كثيرة منها: اخباره بقصص الأنبياء السالفين، كقوله تعالى في سورة هود/ ٤٩ :﴿تِلْكَ مِنْ أَنْباءِ الْغَيْبِ نُوحيها إلَيْكَ ما كُنْتَ تَعْلَمها أَنْتَ ولا قومُكَ مِنْ قَبْلِ هٰذا﴾ و منها الاخبار عن الحوادث المستقبلة ، كقوله تعالى في سورة الروم: ﴿غُلِبَتِ الرُّومِ فِي

أَدْنَى الأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيُغْلَبُونَ في بِضعِ سنين﴾ .

٥ـ تحدّيه بعدم الاختلاف فيه، كما في قوله تعالى في سورة النساء/ ٨٢: ﴿أَفَلا يَتَدبَّرُونَ الْقُرانَ وَ لَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثيراً﴾ .

الإمامة

اثبات إمامة الأئمّة الإثني عشر على الأُمّة من قبل الله سبحانه و رسوله ﷺ

الإمامة ما هي؟ و من هو الإمام؟

الإمامة منصب الهيٌّ مجعول من قبل الله، و عهد منه سبحانه و تعالى كما قال الله في إبراهيم عليه السلام : ﴿**إِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمينَ**﴾ .(البقرة/ ١٢٤)

فكما انّ النبوة منصب الهيٌّ مجعول من قبل الله سبحانه و تعالى، فكذلك الخلافة عنها لا محالة. و لا معنى للخلافة عن النبي بجعل الناس، فكما أنّ النبوة ليست مجعولة من قبل الناس فكذلك الخلافة عنه لا تكون مجعولة من قبلهم.

وبالجملة ليست خلافة رسول الله رياسة جمهوريّة لتكون تحقّقها بآراء الناس كما ادّعى بعد النبي ﷺ بالنسبة إلى أبي بكر، بل لابدّ و أن تكون منصوبة من قبل الله و رسوله ﷺ.

فكما أنّ موسى قال لهارون اخلفني في قومي، فكذلك قال نبيّنا ﷺ لعليّ عليه السلام في حديث المنزلة المتواتر نقله عنه في كتب أهل السنّة: «أَنْتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسىٰ إِلاّ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»، فأثبت لعليّ عليه السلام الخلافة عن نفسه ﷺ ،كلّ منزلة كان لهارون بالنّسبة إلى موسى إلاّ النبوّة و بيّن أنّ عدم كونه نبيّاً، كما كان هارون، لأجل أنّه لا نبيّ بعده وأنّه ﷺ خاتم النّبيين.

و بالجملة انّ الإمامة ولاية مسانخة لولاية الله و ولاية رسوله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَ رَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ﴾ (المائدة/ ٥٥).

ومن المسلّم في كتب أهل السنّة أنّها نزلت في عليّ عليه السلام و أنّ المراد من المعطوف على الله و رسوله صلى الله عليه وآله في هذه الآية الحاصرة للولاية في الله و رسوله هو عليّ عليه السلام، و هذه ولايّة خاصّة و ليست من سنخ ولاية بعض المؤمنين لبعض كما في قوله تعالى: ﴿اَلْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾ و إلاّ لم تخصّ بمن كان مؤتياً للزكاة في حال الركوع.

والإمام: هو الهادي للأُمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله تعالى: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ﴾ (الرعد/ ٧).

ففي تفاسير أهل السنّة بالاسناد عن ابن عبّاس قال: لما نزلت هذه الآية وضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على صدره و قال: «أنا المنذر، و لكلّ قوم هاد»، و أومأ بيده إلى منكب عليّ فقال: «أنت الهادي يا عليّ بك يهتدي المهتدون بعدي».

رواه في تفسير فخر الرّازي، ج١٩، ص ١٤ و تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٥٠١ و تفسير الطبري، ج١٣، ص ٦٣ و تفسير النيسابوري، ج١٣، ص ٧٣ و تفسير الشوكاني، ج٣، ص ٦٦ و تفسير الآلوسي، ج١٣، ص ٩٧، إلى غير ذلك من كتب التفسير والحديث.

و الإمام: هو حجّة الله في أرضه بعد نبيّه فلا يقول أحد لولا أرسلت إلينا رسولاً منذراً و أقمت علينا علماً هادياً فنتّبع آياتك من قبل أن نذلّ و نخزى[1].

١ـ وقد استفاض في أحاديثنا انّ الأرض لا تخلو من الحجّة (أوردنا منها في كتاب من هو *المهدي* مائة و سبعة أحاديث) و هو الإمام المعصوم و عنده تتنزّل الملائكة والروح فيها من كلّ أمر في ليلة القدر في كلّ سنة كما دلّت عليه أحاديثنا، و الآية تدل بنفسها على نزول الملائكة والروح في ليلة القدر في كلّ سنة فانّ «تتنزّل» بصيغة المضارع فتدل على الاستمرار بخلاف آية ﴿إِنّا أَنْزَلْناهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ فانّ ﴿أَنْزَلْناهُ﴾ بصيغة الماضي فتدل على نزول القرآن فيما سبق.

والإمام: هو الـذي عنده علم النبيّ الـذي أوحي إليه و يقوم مقـام النبيّ في إلقاء تفاصيل أحكـام الشريعة و المعارف الالهيّة كما يدلّ عليه قـوله تعالى: ﴿**أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدّي إِلاّ أَنْ يُهْدىٰ ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (يونس/ ٣٥) . و هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه أعلم الأُمّة بإجماع الفريقين وقـد أودعه رسـول الله صلى الله عليه وآله علمـه وحكمتـه و قال: في الحديـث المتّفـق عليه عنـد أهل السنّـة: «أنا مدينـة العلم و عليٌّ بابها فمـن أراد العلم فليـأتها من بابها».

وبعده الأئمّة المعصومون عليهم السلام من أهـل بيت النبيّ لقـوله صلى الله عليه وآله المتّفق عليه عند الفريقين: «إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي لن تضلّوا ما إن تمسّكتم بهما، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض».

فهم هـداة مهديّـون و سيجيئ نصـوص إعلام رسـول الله صلى الله عليه وآله بإمامتهم و عصمتهم، فهم كما قال الله تعالى في آل إبراهيم: ﴿**وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَأَوْحَيْنا إِلَيْهِـمْ فِعْلَ الْخَيْراتِ وَإِقامِ الصَّـلاةِ وَإيتاءِ الزَّكاةِ وَ كـانُوا لَنا عابِـدِينَ**﴾ (الأنبياء/ ٧٣).

وهم كما قال الله تعالى: ﴿**وَالّذينَ يَقُولُونَ هَبْ لَنـا مِنْ أَزْواجِنا وَذُرّياتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاْجْعَلْنا لِلْمُتَّقِيـنَ إِماماً**﴾ (الفرقـان/ ٧٤) و قد روى أبوبكـر بن مـؤمن في «رسالة الاعتقاد» عـن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قـال: و الله نزلت هذه الآية في حقّ عليّ حيث دعا بهذا الدعاء.

و منهم المهديّ عليه السلام الذي يملأ الأرض قسطاً و عدلاً بعد ما ملئت ظلماً و جوراً، كما تواترت النصوص عن النبيّ صلى الله عليه وآله عليه.

قـال الله تعـالى: ﴿**وَعَـدَ اللهُ الَّـذِيـنَ آمَنُوا مِنْكُـمْ وَعَمِلُـوا الصّـالِحـات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوارِثينَ**﴾ .(القصص/ ٥)

اشتراط العصمة في الإمام

قال الله تعالى في إبراهيم:

﴿إِنّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَ مِنْ ذُرّيَتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظالِمينَ﴾ (البقرة/ ١٢٤).

هذه الآية صريحة في أنّ من شرط الإمامة الالهيّة العصمة، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودُ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[1] (الطلاق/ ١).

و قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودُ اللهِ فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٢٩).

فانحصرت الإمامة الالهيّة بعد رسول الله ﷺ في الأئمّة الاثني عشر للإجماع على عدم عصمة غيرهم و دلالة آية التطهير على عصمة عليّ و الحسن و الحسين عليهم السلام و دلالة النصوص المأثورة عن رسول الله ﷺعلى عصمة جميع الأئمّة الاثني عشر كما سيجيء.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (الأحزاب/ ٣٣).

الآية تدلّ على عصمة أهل البيت. توضيحه أنّ الآية صريحة في تعلّق إرادته تعالى بتطهير أهل البيت فيثبت تحقّقه لاستحالة تخلف إرادته عزّ اسمه عن مراده

١ـ قال الطبرسي في «مجمع البيان»، ج١، ص ٢٠٢: فإن قيل إنّما نفى أن يناله ظالم في حال ظلمه، فإذا تاب لا يسمّى ظالماً، فيصحّ أن يناله. فالجواب: إنّ الظالم و إن تاب فلا يخرج من أن تكون الآية قد تناولته في حال كونه ظالماً، فإذا نفى أن يناله (عهد الله) فقد حكم عليه بانّه لا ينالها (الإمامة)، و الآية مطلقة غير مقيّدة بوقت دون وقت فيجب أن تكون محمولة على الأوقات كلّها فلا ينالها الظّالم و إن تاب فيما بعد.

فقد قال عزّ وجلّ : ﴿إِنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونَ﴾ وهي مرادة بالإرادة التكوينية لا محالة دون التشريعية فانّ الإرادة التشريعية لا تتعلق إلاّ بفعل المكلّف و هي مساوقة للأمر به و قد تعلّق في الآية بفعل الله جلّ و عزّ فقال: ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ مضافاً إلى أنّ إرادته تعالى بالإرادة التشريعية للطهارة لا تختص بأهل البيت بل تعمّ جميع المكلّفين.

ثمّ إنّ من البديهي أيضاً انّه ليس المراد من الرجس، الرجس البدني الظاهري، فالمراد منه الرجس الباطني من الشرك و الكفرو الشك و دنس الذنب و معصية الله و كلّ ما يعد رجساً . (**فإن قلت**): يحتمل أن يراد من التطهير انّه تعالى غفر ذنوبهم.(**قلت**):انّ المغفرة لا تطهر الدنس الحادث في نفس العاصي بل إنّما يوجب رفع العقوبة عنه، ضرورة انّ مغفرة المعصية لا توجب انقلابها عمّا وقعت عليها.

مضافاً إلى انّ مغفرة الذنب لا تكون إلاّ بعد تحقّقه فالمذنب عند صدور الذنب منه غيرمطهّر، لعدم امكان مغفرة الذنب عند الارتكاب به و إلاّ خرج عن كونه ذنباً و لم يصدق عليه عنوانه.

والآية الكريمة دالّة على عصمتهم عليهم السلام من الأرجاس بجميع أنواعها بالتأكيدات العديدة من ذكر لفظة ﴿إنّما﴾ ، و ادخال اللام في الخبر العديدة و اختصاص الخطاب، و تكرير المؤدى، و ايراد المفعول المطلق بعده، و تنكيره الدال على الاهتمام والتعظيم، و تقديم ما حقّه التأخير أي تقديم ﴿عنكم﴾ على ﴿الرجس﴾.

ثمّ إنّ المراد من أهل البيت في الآية ليس نساء النبيّ، لتذكير الضمير الّذي خوطب به أهل البيت، لا سيما مع كون الآية في سياق الآيات التي خوطب بها نساء النبي، و الخطاب في كلها بتأنيث الضمير إلاّ هذه الآية ففيها بتذكير

الضمير، و ذلك تصريح بعدم كون المراد من أهل البيت في هذه الآية هو المخاطب بها في تلك الآيات و قد تواتر عن رسول الله ﷺ من طريق أهل السنّة أنّ الآية نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام .و في كثير من طرقه، أنّ الآية: نزلت في بيت أُمّ سلمة، فقالت يا رسول الله: وأنا منهم؟ قال ﷺ: إنّك إلى خير، أي لست منهم و لكنّك إلى خير.

ثمّ إنّه قد ورد أنّ الآية تعمّ الأئمّة الاثني عشر المعصومين من ذريّته ﷺ بأجمعهم، فاختصاصها لعليّ و فاطمة والحسن و الحسين عليهم السلام بمعنى اختصاصها لهم بين الموجودين في زمن نزول الآية.

و قد أمر الله بطاعتهم و قرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسوله فقال: ﴿**أَطِيعُوا اللهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ (النساء/ ٥٩).

قال المفسّر المعروف من أهل السنّة فخر الدين الرازي في «تفسيره» ج١٠ في ذيل هذه الآية: «إنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، و من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم و القطع لابدّ و أن يكون معصوماً من الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً من الخطأ كان بتقدير اقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته... فثبت قطعاً أنّ أولي الأمر المذكور في الآية لابدّ و أن يكون معصوماً».

نصّ رسول الله ﷺ على عصمة الأئمة الاثني عشر:

نصّ رسول الله ﷺ على عصمة الأئمة الاثني عشر بكرّات، و قد روى عن جماعة من صحابته كعبد الله بن عباس، وزيد بن أرقم و أنس بن مالك و واثلة بن الاصقع و سعد بن مالك و أبي أيّوب الأنصاري و عمران بن الحصين وأبي سعيد الخدري و عمّار و علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي ذرّ و أُمّ سلمة و جابر بن عبد الله ، راجع «براهين المعارف الإلهيّة».

***

حديث الغدير

نصب رسول الله ﷺ عليّاً بالولاية والإمامة

و ابلاغها إلى جماعة المسلمين بقوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»

وتفصيل واقعة الغدير ملخّصاً كما رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»[1]، ج۲، ص ٤٥ قال:

أخبرنا أبوبكر محمد بن الحسين بن المرزقي، أنبأنا أبو الحسين محمد بن علي بن المهتدي، أنبأنا أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن الحسن، أنبأنا العباس بن أحمد البرتي [ظ] أنبأنا نصر ابن عبد الرحمان أبو سليمان الوشاء، أنبأنا زيد بن الحسن الأنماطي، أنبأنا معروف بن خربوذ المكي:

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد، قال: لما قفل رسول الله ﷺ ، عن حجّة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن ينزلوا حولهن، ثمّ بعث إليهنّ فصلّى تحتهن ثمّ قام فقال: أيّها النّاس قد نبأني اللّطيف الخبير، أنّه لم يعمر نبيّ إلاّ مثل نصف عمر الذي يليه من قبله، و إنّي لأظنّ أن يوشك أن أُدعى فأُجيب، و انّي مسؤول و أنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنّك قد بلغت و نصحت و جهدت، فجزاك الله خيراً. قال: ألستم

۱ـ مجلّداته كثيرة و ما نروي عنه هو المجلّد الثاني من ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام و قد طبعت في ثلاثة مجلدات في بيروت.

تشهدون أن لا إلـه إلاّ الله، و أنّ محمّداً عبده و رسولـه، وأنّ جنّته حقّ و نـاره حقّ / ١٣٦/ ب/ ز/ و أنّ الموت حقّ، و انّ البعث بعد الموت حـقّ، و أنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، و أنّ الله يبعـث من في القبور؟ قالـوا: بلى نشهد بذلك. قـال اللّهمّ اشهد.

ثـمّ قال: أيّها النـاس انّ الله مولاي و أنـا مولى المؤمنين، و إنّي أولى بهم مـن أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا [عليّ] مولاه، اللّهمّ وال من والاه و عاد من عاداه.

ثـمّ قال: أيّها النـاس [انّي فـرطكـم] و انّكم واردون علي الحوض، حـوضي أعرض مما بين بصري و صنعـا[ء] فيه [آنية] عدد [النحوم: قدحـان من ذهب و] قـدحـان [مـن] فضـة و انّي سـائلكـم حين تـردون علي عـن الثقلين، فـانظـروا / ١١٤/ ب/ كيف تخلفـوني [فيهما، الثقل] الأكبر كتاب الله سبـب طرفـه بيد الله عزّوجـلّ، وطرف بأيـديكم فاستمسكوا [بـه ولا]تضلوا ولا تبدلـوا، و عترتي أهل بيتي فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّهما لن يتفرقا حتى يردا [علي] حوضي [ظ].

تصريح أهل السنّة بتواتر حديث الغدير

منهم الكوفي في «نفحات اللاّهوت»، ص ٢٨.

و روايته (أي حديث الغدير) في عدّة من مصنّفات أهل السنّة يبلغ الدرجة المتواترة و يفيد اليقين.

ومنهم السيوطي كما في «البيان و التعريف»، ج٢، ص ٢٣٠، ط حلب.

قال و قـال السيوطـي: حديـث الغديـر حديـث متواتـر، و كما في «أرجح المطـالب»، ط لاهـور قال: أخـرجه السيـوطـي في «الفوائد المتكـاثرة في الأخبـار المتواترة» و في «الازهار المتناثرة في الأخبار المتواترة» كما في «قطيف الازهار» و نقل عنه المنـاوي في «التيسير» كما في «نظم المتناثـر في الحديث المتـواتر»، ص ١٢٤ ط

حلب.

ومنهم الحاكم أبو سعيد، قال: حديث الموالاة و غدير خمّ قد رواه جماعة من الصحابة بحيث تكاثر نقله إلى أن بلغ حدّ التواتر، كما في «منهج الوصول»، ص ٩٢ ط شاهجهاني و منهم عطاء الله بن فضل النيسابوري في «الأربعين» قال: هذا الحديث (أي حديث الغدير) متواتر عن النبيّ رواه جمع كثير و جمّ غفير من الصحابة.

و منهم علي بن أحمد بن نور الدين العزيزي في «السراج المنير» نقل عنه في «التيسير».

ومنهم ميرزا مخدوم بن عبد الباقي في «نواقض الروافض» قال: فإن تسألني عن حديث الغدير المتواتر اذكر لك الخ.

و منهم عبد الله الشافعي في «المناقب»، ص ١٠٨ قال: و هذا الخبر (أي خبر الغدير) قد تجاوز حدّ التواتر، فلا يوجد خبر قطّ نقل من طرق كهذه الطرق.

و منهم العيني الحيدر آبادي في «مناقب علي»، ص ٥٢ ط اعلم پرس چهار منار.

أقول: هو (أي حديث الغدير) متواتر.

و منهم أحمد محمد مرسي في «تعليقاته على تذكرة القرطبي»، ص ٨٦ ط القاهرة هذا (أي حديث الغدير) متواتر.

ومنهم صاحب كتاب السراج المنير في شرح الجامع الصغير.

و منهم محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير اليماني الصنعاني في «الروضة النديّة» قال: حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمّة الحديث.

ومنهم الذهبي كما في «روح المعاني»، ج٤، ص ١٧٢ ط مصر.

قال : وعن الذهبي انّ الحديث (أي حديث الغدير)متواتر.

ومنهم شـارح المواهب اللّدنيّة كما في نظـم المتناثر في الحديث المتـواتر، ص ١٢٤، ط حلب).

ومنهم السيد محمد بن إسماعيل بن صلاح الـدين في «الروضة النديّة» قال: حديث الغدير متواتر عند أكثر أئمّة الحديث.

ومنهـم أبو سعيـد مسعـود بن نـاصر السجستاني، وهـو مـن أوثق رجـال المذاهب الأربعة، لـه كتاب دراية حديـث الولاية و هو سبعـة عشر جزء روى فيه نصّ النبيّ ﷺ على عليّ بالخلافة عـن (١٢٠) صحابياً و (٦) صحابيـات و عدد أسانيد هذ الكتاب (١٣٠٠).

أقول: وقد استخرجنا من كتب أهل السنّة من أسانيد حديث الغدير «مائة و ثمانية و ثمانين» سنداً مسلسلاً و «مأتين و ستـة و خمسين» طريقاً، أدرجناها في كتاب «براهين المعارف الإلهيّة» فراجع.

تصحيح الحديث

أورد تصحيح حـديث الغديـر في «كتاب الغديـر»، ج١، ص ٢٩٤ـ٣١٣ عن «ثلاثة و أربعين» كتاباً من كتب أهل السنّة.

الآيات النازلة في واقعة الغدير

١. قوله تعالى: ﴿يٰا أَيُّهَا الرَّسُـولُ بَلِّغْ مٰا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّـكَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمٰا بَلَّغْتَ رِسالتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ (المائدة/ ٦٧). نزلت هذه الآية في تبليغ ولاية علي عليه السلام.

رواه أهل السنّـة، أورده في «الغديـر»، ج١، ص ٢١٤ـ٢٢٣ عـن «ثلاثين» كتاباً من كتبهم.

٢. قولـه تعالى: ﴿اَلْيَـوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُـمْ دِينكُمْ وَأَتْمَمْـتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِـي وَ

رَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً﴾(المائدة/ ٣).

نزلت هذه الآية يوم غدير خم بعد تبليغ رسول الله ﷺ ولاية عليّ عليه السلام.

رواه أهل السنّة، أورده في «الغدير»، ج١، ص ٢٣٠ عن «ستة عشر» كتاباً من كتبهم.

٣. قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ * لِلْكافِرينَ لَيْسَ لَهُ دافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي الْمَعارِجِ﴾ (المعارج/ ١ـ٣).

نزلت هذه الآية في رجل لما بلغه قول رسول الله ﷺ «من كنت مولاه فعليّ مولاه» قال: اللّهمّ إن كان ما يقول محمّد حقّاً فامطر علينا حجارة من السماء، فما لبث حتى رماه الله بحجر فوقع على رأسه فقتله و أنزل الله تعالى الآية.

رواه أهل السنّة، أورده في «الغدير»، ج١، ص ٢٣٩ـ ٢٤٦ عن «ثلاثين» كتاباً من كتبهم.

التهنئة في واقعة الغدير

روى المؤرّخ الكبير محمد بن جرير الطبري من أعلام أهل السنّة عن زيد بن أرقم (كما في «الغدير»، ج١، ص ٢٧٠) في واقعة الغدير بعد تبليغ رسول الله ﷺ: فعند ذلك بادر الناس بقولهم نعم سمعنا و أطعنا على أمر الله و رسوله بقلوبنا، وكان أوّل من صافق النبيّ ﷺ وعليّاً، أبوبكر و عمر و عثمان و طلحة و زبير و باقي المهاجرين والأنصار وباقي الناس إلى أن صلّى الظهرين في وقت واحد و امتدّ ذلك إلى أن صلّى العشائين في وقت واحد و أوصلوا البيعة و المصافقة ثلاثاً.

تهنئة عمر بن الخطاب

رواها أهل السنّة، وأوردها في «الغدير»، ص ٢٧٢ـ ٢٨٣ عن «ستين» كتاباً

من كتبهم.

المنظومات والقصائد حول واقعة الغدير

أورد في «موسوعة الغدير» جملة من المنظومات والقصائد المنظومة حول واقعة الغدير، و شعراء تلك الواقعة الهامّة قرناً بعد قرن من القرن الأوّل إلى القرن الثاني عشر و إليك تعداد أساميهم:

ففي القرن الأوّل«خمسة» وفي القرن الثاني«ثلاثة» و في القرن الثالث «ستة» و في القرن الرابع«عشرة» وفي القرن الخامس« تسعة» و في القرن السادس« اثنا عشر» و في القرن السابع «تسعة» وفي القرن الثامن «سبعة»و في القرن التاسع«سبعة» و في القرن العاشر «اثنان» وفي القرن الحادي عشر«أربعةعشر» وفي القرن الثاني عشر «ثلاثة عشر».

معنى كلمة المولى في اللغة

المولى و الولي وصفان من الولاية، و حقيقتها الجارية في جميع مشتقاتها «القيام بأمر والتقلّد له» كما يستفاد من كتب اللغة.

قال في الصحاح [١]: ولي الوالي البلد و ولي الرجل البيع ولاية و أوليته معروفاً، و يقال في التعجب ما أولاه للمعروف، و تقول: فلان وليُّ و ولّى عليه و ولّاه الأمير عمل كذا و ولّاه بيع الشيء و تولى العمل تقلده.

وقال في النهاية [٢]: والولاية تشعر بالتدبير و القدرة و الفعل،ـ إلى أن قال:ـ و كلّ من ولّى أمراً فهو مولاه و وليه، ـ إلى أن قال: ـ و قول عمر لعليّ: أصبحت مولى كلّ مؤمن أي وليّ كلّ مؤمن.

١ـ الصحاح: ج٦، ص ٢٥٢٩ مادة «ولى».

٢ـ النهاية لابن الأثير: ج٥، ص ٢٢٧ـ٢٢٨، مادة «ولى».

وقال في القاموس[١]: ولى الشيء و عليه ولاية و ولاية أو هي المصدر و بالكسر الخطة و الأمارة والسلطان ، و أوليته الأمر وليته إيّاه، ـ إلى أن قال : ـ تولى الأمر تقلّده، و أولى على اليتيم أوصى، و استولى على الأمر أي بلغ الغاية.

وقال في لسان العرب [٢]: قال سيبويه: الولاية ـ بالكسر ـ الاسم مثل الإمارة و النقابة لانّه اسم لما توليته و قمت به، و إذا أرادوا المصدر فتحوا.

إلى أن قال: و الولي ولي اليتيم الذي يلي أمره و يقوم بكفايته، ووليّ المرأة الذي يلي عقد النكاح عليها ولاية عنها يستبد بعقد النكاح دونه، وفي الحديث أيما امرأة نكحت بغير إذن موليها فنكاحها باطل، وفي رواية وليها أي متولي أمرها (انتهى).

فحقيقة كلمة المولى من يلي أمراً و يقوم به و يتقلّده، و ما عدوه من المعاني له فإنّما هي مصاديق حقيقتها، و قد أُطلقت عليها من باب اطلاق اللفظ الموضوع لحقيقة على مصاديقها كإطلاق كلمة الرجل على زيد و عمرو و بكر، فيطلق لفظ المولى على الرب لانّه القائم بأمر المربوبين، وعلى السيد لانّه القائم بأمر العبد، وعلى العبد لانّه يقوم بحاجة السيد، و على الجار وابن العم و الحليف و العقيد والصهر لانّهم يقومون بنصرة صاحبهم فيما يحتاجون إلى نصرتهم، و هكذا فاللفظ مشترك معنوي فمعنى قوله ﷺ: من كنت مولاه فعليّ مولاه، من كنت متقلداً لأمره و قائماً به فعلي متقلّد أمره و القائم به، و هذا صريح في زعامة الأُمّة و إمامتها و ولايتها، فانّ رسول الله ﷺ زعيم الأُمّة و وليّهم و سلطانهم و القائم بأمرهم فثبت لعليّ عليه السلام ما ثبت له من الولاية العامة و الزعامة التامة.

هذاما يقضي به التأمّل في كلام أئمّة اللغة و إن أبيت إلاّ عن تعدد معاني الولي و أنّه مشترك لفظي، فمن جملة معانيها لا محالة «الأُولى» .

١ـ القاموس المحيط: ج٤، ص ٤٠٢، مادة «ولى».

٢ـ لسان العرب: ج١٥، ص ٤٠٧، مادة «ولى».

قال الكلبي المتوفى سنة ١٤٦ في معنى قوله تعالى: ﴿هي مولاكم﴾ يعنى أولى بكم . وهو قول الزجاج و الفرّاء وأبي عبيدة (كما نقله في تفسير الرازي، ج٢٩، ص ٢٢٧).

وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ و هو مقدّم في علم العربيّة في «غريب القرآن» في تفسير ﴿هي مولاكم﴾ يريد جلّ اسمه هي أولا بكم، وا ستشهد بقول اللبيد:

ففدت كلا الفرجين تحسب انّه   مولى المخافة خلفها و أمامها

نقله في «عمدة ابن بطريق» ص ١١٢ و قال في ص ١١٣: و قد حكى عن أبي العباس المبرّد، الولي: الذي هو الأولى و الأحقّ، و مثله المولى.

وقاله أخفش النحوي المتوفى سنة ٢١٥ و استشهد ببيت اللبيد، نقله عنه الرازي في نهاية العقول.

و قاله البخاري المتوفى سنة ٦ـ٢٥٣ في «صحيحه» ج٧، ص ٢٤٠.

وقال الأنباري اللّغوي النحوي المتوفى سنة ٣٢٢ في «تفسير المشكل في القرآن» : المولى: الولي والأولى بالشيء، و استشهد با لآية و ببيت لبيد.

وقد أورد في «الغدير» ج١، ص ٣٤٤ ــ ٣٤٨ كلمات «اثنين و أربعين» من أهل العربيّة من المفسرين والمحدثين، قرناً بعد قرن من القرن الأوّل إلى القرن الرابع عشر، صرّحوا جميعاً بأنّ معنى كلمة مولى في قوله تعالى: ﴿النار مولاكم﴾ الأولى، أو هو أحد معانيها.

ولا يخفى أنّ اختصاص كلمة «مولى» في الاستعمال بالاضافة، وكلمة «أولى» باقترانها بحرف من ، لا ينافي ترادفهما في المعنى، فإنّ ترادف كلمتين في المعنى لا ينافي اختلاف كيفيّة استعمالهما.

قال في «الغدير»، ج١،ص ٣٥٣: و أنت تجد هذا الإختلاف في جلّ

الألفاظ المترادفة الّتي جمعها الزّماني المتوفى سنة ٣٨٣ في تأليف مفرد في (ص ٤٥ ط مصر) و لم ينكر أحد من اللغويّين شيئاً من ذلك لمحض اختلاف الكيفيّة في أداء الصحبة كما لم ينكروا بسائر الاختلافات الواردة من التركيب.

و أما تعيّن معنى «الأولى» في حديث الغدير دون غيره من معاني المولى فقد قال:الحلبي في التقريب: من أنّ المولى حقيقة في الأولى لاستقلالها بنفسها و رجوع سائر الأقسام في الاشتقاق إليها لانّ المالك إنّما كان مولى لكونه أولى بتدبير رقيقة و تحمل جريرته و المملوك مولى لكونه أولى بطاعة مالكه و العتق و المعتق كذلك و الناصر لكونه أولى بنصرة من نصره و الحليف لكونه أولى بنصرة حليفه و الجار لكونه أولى بنصرة جاره و الذب عنه و الصهر لكونه أولى مصاهره والإمام لكونه أولى بمن يليه و ابن العم لكونه أولى بنصرة محبّه، و إذا كانت لفظة مولى حقيقة في الأولى وجب حملها عليها دون سائر معانيها لافتقارها إلى القرينة الصارفة عن الموضوع له و المعينة لأحدها بخلاف الأولى كما لا يخفى.

***

الحجّة على الأُمّة بعد رسول الله

بنصّه ﷺ

حديث الثقلين من طرق أهل السنّة

متن الحديث كما رواه الحافظ الترمذي في «صحيحه»، ج١٣، ص ٢٠٠ ط مصر بسنده عن زيد بن أرقم و بسند آخر عن أبي سعيد:

«قال رسول الله ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وقد شهد بكثرة طرقه جماعة من أهل السّنة.

فمنهم الحافظ بن حجر في «الصواعق» روى حديث الثقلين ثلاثون صحابياً و إنّ كثيراً من طرقه صحيح و حسن.

ومنهم الحضرمي في «القول الفصل»، ج١، ص ٤٩.

قد روى حديث الثقلين عن بضعة و عشرين صحابيّاً و ورد من طرق صحيحة مقبولة و هو من الأحاديث المتواترة أجمع الحفاظ على القول بصحّته.

وقال سلطان العلماء في «السيف الماسح»، ص ١٤٣: انّ النبي ﷺ قال

متواتراً با لمعنى: إنّي تارك فيكم الثقلين إن تمسكتم لن تضلّوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

أقول: المستفاد من تضاعيف أحاديث الباب أنّ حديث الثقلين قد صدر من رسول الله ﷺ في أربعة مواضع:

١. يوم عرفة على ناقته القصوى.

٢. في مسجد خيف.

٣. في خطبة الغدير في رجوعه من حجّة الوداع.

٤. يوم قبض صلوات الله عليه و آله في خطبته على المنبر.

***

النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ في الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام في كتب أهل السنّة

١ـ نصّ رسول الله ﷺ على عدد الأئمّة الاثني عشر.

روى نصّ رسول الله على عـدد الأئمة الاثني عشر في كتب أهـل السنّة عن جماعة من الصحابة، منهم عبد الله بـن عباس، وأبوهريرة، و سلمان، و عبد الله بن عمر، و ابوجحيفة، وعبد الله بن عمرو بن عاص، وعبد الله بن مسعود، و جابر بن عبد الله، و عباس عمّ النبيّ ﷺ و علي بن أبي طالب عليه السلام، والحسين بن علي عليه السلام، و عمر بن الخطّاب، وعائشة بنت أبي بكر، و جابر بن سمرة.

وقد روى نـصّ رسول الله ﷺ على عدد الأئمّـة الاثني عشر عـن جابـر بن سمرة في كتب أهل السنّة بأسانيد كثيرة تبلغ «خمسين سنداً».

٢ـ النصوص الـواردة عن رسول الله في أوصاف الأئمّـة المعصومين عليهم السلام في كتب أهل السنّة و هي كثيرة جدّاً.

٣ـ النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ في انّ الأئمّة الاثني عشر أوّلهم علي و أحد عشر من ولده في كتب أهل السنّة و هي أيضاً كثيرة.

٤ـ النصوص الـواردة عن رسول الله ﷺ في التصريح بأسماء الأئمّـة الاثني عشر و تعيينهم بأشخاصهم في أحاديث أهل السنّة و هي كثيرة فراجع.

النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ في الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في كتب الشيعة

١ـ نصّ رسول الله ﷺ على عدد الأئمّة الاثني عشر في كتب الشيعة.

النصوص الواردة عن رسول الله ﷺ المتضمّنة لعدد الأئمّة الاثني عشر في كتب أصحابنا كثيرة والمجموع منها في «كفاية الأثر» فقط (مائة و ثلاثة وثلاثون) حديثاً مسنداً بأسانيد تنتهي إلى رسول الله ﷺ بواسطة (سبعة و عشرين) من أصحابه.

وقد نقل في «إثبات الهداة»، ج١، ص ٤٣٥ـ ٦٧٥ جملة من الأحاديث المصرّحة بعدد الأئمة الاثني عشر من (٨٥) كتاباً، و المنقول من مجموعها مسلسلاً (٩٢٧) حديثاً و إن كان مشتملاً على التكرار كثيراً.

٢ـ النصوص المأثورة عن رسول الله ﷺ المصرحة بأسماء الأئمّة الاثني عشر في كتب أصحابنا. أوردنا منها (ثلاثة و ثلاثين نصّاً).

٣ـ جملة أُخرى من النصوص المأثورة عن رسول الله ﷺ في كتب أصحابنا في عدد الأئمّة و نسبهم وأوصافهم، و هي (ستة عشر نصّاً).

٤ـ النصوص المتضمنة لأسماء الأئمّة الاثني عشر وتعيينهم بأشخاصهم المأثورة عنهم عليهم السلام.

وهي مضافاً إلى تعيين كلّ لاحق منهم بواسطة السابق عليه بالخصوص، كثيرة روي عن الحسين بن علي عليهما السلام و الباقر عليه السلام و الصادق عليه السلام و الكاظم عليه السلام و الرضا عليه السلام و الجواد عليه السلام و الهادي عليه السلام...

تعيين كلّ إمام بواسطة الإمام السابق عليه والمعجزات الصادرة عنهم عليهم السلام

النصوص الواردة في إمامة كلّ إمام بخصوصه من الإمام السابق عليه متواترة يغنينا مراجعة موسوعة «اثبات الهداة بالنصوص و المعجزات» فقد ألّفه لاثبات نبوة نبيّنا صلى الله عليه وآله وإمامة الأئمة الاثني عشر المعصومين عليهم السلام بالنصوص و المعجزات المتواترة، و عقد لكلّ إمام بابين مشتملين على فصول عديدة، باب في النصوص الواردة في إمامته من الإمام السابق عليه، وباب في معجزاته الصادرة عنه.

وذكر في مقدمة الكتاب: إنّ أحاديث هذه الأبواب كلّها من المتواترات.

حجّة الله الغائب المنتظر الإمام الثاني عشر المهدي م ح م د بن الحسن العسكري عليه السلام

قد بلغت كثرة الأحاديث الواردة في المهدي عليه السلام إلى حدّ قلّما يوجد موضوع في الإسلام ورد فيه الحديث بقدر ما ورد فيه من طرق الفريقين، وقد بلغ خصوص ما ورد منها من طرق أهل السنّة عن النبيّ صلى الله عليه وآله إلى حدّ التواتر شهد بذلك جماعة من أعلامهم، منهم العسقلاني في «تهذيب التهذيب» ج٩، ص ١٤٤ و منهم السيوطي في «الحاوي للفتاوى» و الهيتمي في «الصواعق المحرقة»، ص ١٦٥ نقلاً عن الآجري، و منهم الشبلنجي في «نور الأبصار» ومنهم الشيخ محمد الحنفي المصري في «اتحاف أهل الإسلام» و منهم البرزنجي في «الاشاعة لاشراط الساعة» ص ٨٧ نقلاً عن الاسفوي في «مناقب الشافعي» و منهم الصبان في «اسعاف الراغبين،ص ١٤٠.

النصوص الواردة عن النبيّ الأكرم ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام في تعين شخص المهدي عليه السلام

و هي كثيرة جدّاً في حدّ التواتر، أوردنا منها في كتاب «من هو المهدي عليه السلام» في انّه الحادي عشر من ولد رسول الله ﷺ (١٣١) نصّاً و في انّه العاشر من ولد أمير المؤمنين علي عليه السلام (١٣٤) نصّاً، و في انّه التاسع من ولد الحسين عليه السلام (١٣٠) نصّاً، و في انّه الثامن من ولد علي بن الحسين عليهما السلام (١١١) نصّاً، وفي أنّه السابع من ولد الباقر عليه السلام (١١١) نصّاً، وفي أنّه السادس من ولد الصادق عليه السلام (١١٠) نصّاً، و في انّه الخامس من ولد موسى بن جعفر عليهما السلام (١٠٦) نصّاً، وفي انّه الرابع من ولد الرضا عليه السلام (٩٤) نصّاً، وفي انّه الثالث من ولد محمّد بن علي الجواد عليه السلام (٩٧) نصّاً، وفي انّه الثاني من ولد علي الهادي عليه السلام (٩٦) نصّاً، وفي انّه ابن الحسن العسكري عليه السلام (٩٤) نصّاً.

غيبة المهدي عليه السلام

الأحاديث الواردة في أخبار النبي ﷺ والأئمّة المعصومين عليهم السلام عن غيبة المهدي عليه السلام كثيرة جدّاً يبلغ حدّ التواتر، قد أوردنا منها في كتاب «من هو المهدي عليه السلام» عن النبيّ الأكرم ﷺ (٢٩) حديثاً، و عن أمير المؤمنين عليه السلام (١٦) حديثاً، وعن الحسن بن علي عليهما السلام (٥) أحاديث، و عن الحسين بن علي عليهما السلام (٨) أحاديث، و عن زين العابدين عليه السلام (١٩) حديثاً، و عن أبي جعفر الباقر عليه السلام (٦٣) حديثاً، وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام (١٠) أحاديث و عن موسى بن

جعفر عليه السلام (١١) حديثاً، و عن علي بن موسى الرضا عليه السلام (٥) أحاديث، و عن محمد بن علي الجواد عليه السلام (٦) أحاديث، و عن الهادي عليه السلام (١٨) حديثاً، و عن الحسن بن علي العسكري عليه السلام (١٨) حديثاً.

و قد تظافرت الأخبار عن تشرّف جمّ عفير بحضوره في الأعصار المختلفة والقرون المتطاولة حتى العصر الحاضر رزقنا الله التشرّف إلى حضرته و جعلنا من خدامه في الحراسة عن الدين.

المعاد الجسماني
بعد الموت

براهين القرآن الكريم على المعاد

١. فقدان المعاد يستلزم العبث في خلقة الإنسان

قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرجَعُونَ﴾ (المؤمنون/ ١١٥).

وقال تعالى: ﴿وَ ما خَلَقْنَا السَّماءَ وَ الأَرْضَ وَما بَيْنَهُما باطِلاً ذٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَروا مِنَ النّارِ﴾ (ص/ ٢٧).

توضيحه: أنّ جميع ما في الأرض خلق للإنسان، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الأَرْضِ جَميعاً﴾.

وأمّا الإنسان فخلق لنفسه. فكان إعدامه بعد وجوده منافياً لتعلّق الغرض بوجوده إلاّ أن يكون ايجاده عبثاً لا عن غرض.

فالموت ليس إعداماً للإنسان بل انتقالاً من عالم الطبيعة إلى ما ورائه و انفصالاً و فراقاً للروح عن البدن إلى يوم القيامة.

٢. يوم القيامة يوم الحكم بالعدل و القسط بين الناس

قال الله تعالى: ﴿وَ لَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يا وَيْلَنا إِنّا كُنّا ظالِمينَ* وَنَضَعُ الْمَوازينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَ إِنْ كانَ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنا بِها وَ كَفى بِنا حاسِبينَ﴾ (الأنبياء/ ٤٦و٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ اي وَ رَبّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزينَ* وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِي الْأَرْضِ لافْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (يونس/ ٥٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (يونس/ ٩٣ والجاثية/ ١٧).

وقال تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ* لِيَوْمِ الْفَصْلِ* وَما أَدْريكَ ما يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ (المرسلات/ ١٢ـ١٤).

وقال تعالى: ﴿هٰذا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْناكُمْ وَ الْأَوَّلينَ﴾ (المرسلات/ ٣٨).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْم الفَصْلِ كانَ ميقاتاً﴾ (النبأ/ ١٧).

وقال تعالى: ﴿هٰذا يَوْم الفَصْلِ الَّذي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (الصافات/ ٢١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ﴾ (الحجّ/ ١٧).

وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعكُمْ أَرْحامكُمْ وَلا أَولادكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ (الممتحنة/ ٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ ميقاتَهُمْ أَجْمَعينَ﴾ (الدخان/ ٤٠).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِليَّ مَرْجعكُمْ فَأَحْكمْ بَيْنَكُمْ فِيما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (آل عمران/ ٥٥).

وقال تعالى: ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾

(البقرة/ ١١٣).

وقال تعالى: ﴿فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيٰامَةِ﴾ (النساء/ ١٤١).

وقال تعالى: ﴿وَ قَضىٰ بَيْنَهُمْ بِالحَقِّ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر/ ٦٩).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيٰامَـةِ فِيمٰا كانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل/ ١٢٤).

وقال تعالى: ﴿اَلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لله يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ (الحجّ/ ٥٦).

وقال تعـالى: ﴿اللهُ يَحْكُـمُ بَيْنَكُمْ يَـوْمَ القِيٰـامَةِ فِيمٰـا كُنْتُـمْ فِيهِ تَخْتَلِفُـونَ﴾ (الحجّ/ ٦٩).

وقال تعالى: ﴿ثُـمَّ رُدُّوا إِلَى اللهِ مَـولاٰهُـمُ الحَقِّ أَلا لَـهُ الحُكْـمُ وَ هُوَ أَسْـرَعُ الْحٰاسِبينَ﴾ (الأنعام/ ٦٢).

٣. فقد الحشر والنشور بعد الموت يستلزم تـرك توفية المظلومين بحقوقهم و مجازاة الظالمين على ظلمهم

قال الله تعـالى: ﴿وَ مَـنْ قَتَلَ مُـؤْمِناً مُتَعَمِّـداً فَجَـزاؤُهُ جَهَنَّمَ خٰـالِداً فِيهٰـا﴾ (النساء/ ٩٣).

وقـال تعـالى: ﴿وَ إِذَا الْمَـوؤدَةُ سُئِلَـتْ * بِـأَيِّ ذَنْـبٍ قُتِلَـتْ﴾ (التكوير/ ١٠ـ ١١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتٰامىٰ ظُلماً إِنَّمٰا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نٰاراً وَ سَيَصْلَونَ سَعيراً﴾ (النساء/ ١٠).

وقال تعالى: ﴿وَ لَوْلاٰ كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُـمْ وَ إِنَّ الظّٰالِمينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى/ ٢١).

وقال تعالى: ﴿وَ مَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ عُدواناً وَ ظُلماً فَسوفَ نُصْلِيهِ ناراً﴾ (النساء/ ٣٠).

وقال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدىٰ بَعْدَ ذٰلِكَ فَلَهُ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (البقرة/ ١٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ* الَّذِينَ إِذَا ٱكْتالُوا عَلَى النّاسِ يَسْتَوفُونَ* وَإِذٰا كٰالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ* أَلا يَظُنُّ أُولئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ* لِيَوْمٍ عَظِيمٍ* يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعٰالَمِينَ﴾(المطففين/ ١ـ٧).

وقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء/ ٢٢٧).

وقال تعالى: ﴿وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مٰا فِي الْأَرْضِ لافْتَدتْ بِهِ وَ أَسَرُّوا النّدامَةَ لَمّا رَأَوُا الْعَذابَ وَ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَ هُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ﴾ (يونس/ ٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَ لَوْ تَرىٰ إِذِ الظّالِمُونَ مَوقُوفونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ (سبأ/ ٣١).

وقال تعالى: ﴿وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَونَ الْعَذابَ أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾ (البقرة/ ١٦٥).

وقال تعالى: ﴿فَيَومَئِذٍ لاٰ يَنْفَعُ الّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَ لاٰ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الروم/ ٥٧).

وقال تعالى : ﴿وَ لَنْ يَنْفَعكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ انّكُمْ فِي العَذٰابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ (الزخرف/ ٣٩).

وقال تعالى: ﴿وَ نَقُولُ لِلّذينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الّتي كُنْتُمْ بِهٰا تكذبُونَ﴾(سبأ/ ٤٢).

وقال تعالى: ﴿وَ قِيلَ لِلظّالِمينَ ذُوقُوا مٰا كُنْتُمْ تكْسِبُونَ﴾ (الزّمر/ ٢٤).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذابَ الْخُلْدِ﴾ (يونس/ ٥٢).

وقال تعالى: ﴿أَمّا مَنْ ظَلَمَ فَسوفَ نُعَذِّبهُ﴾ (الكهف/ ٨٧).

وقال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذابِ يَوْمٍ أَلِيم﴾ (الزخرف/ ٦٥).

وقال تعالى: ﴿فَـذٰلِكَ نُجْـزِيـهِ جَهَنَّمَ وَ كَذٰلِكَ نجْـزِى الظّالِمِـينَ﴾ (الأنبياء/ ٢٩).

وقال تعالى: ﴿فتَكُونُ مِـنْ أَصْحٰـابِ النّـار وَذٰلِكَ جَـزاءُ الظّالِمِـينَ﴾ (المائدة/ ٢٩).

وقال تعالى: ﴿وَ مَأْوٰاهُـمُ النّار وَ بِئْـسَ مَثْـوَى الظّـالِمينَ﴾ (آل عمران/ ١٥١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الظّالِمينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم/ ٢٢).

وقال تعـالى: ﴿ثُـمَّ نُنَجِّـي الَّـذِيـنَ ٱتَّقَوا وَنَـذَرُ الظّالِمِيـنَ فِيهٰـا جِثِيّـاً﴾ (مريم/ ٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَكٰانَ عٰـاقِبَتُهُمٰا انّهما فِـي النّار خالِـدينَ فِيهٰا وَ ذٰلِـكَ جَزاءُ الظّالِمينَ﴾ (الحشر/ ١٧).

٤. إيصال الإنسان إلى غايته يستلزم الحشر والنشور

قال الله تعـالى: ﴿يٰا ايُّهَـا الإنْسانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلـىٰ رَبِّكَ كَدحاً فَمُـلاقِيهِ﴾ (الانشقاق/ ٧).

أي إنّك سـاعٍ إلى الله تعالى بـالسعي الشّديـد و العناء، فتفـوز إلى لقاء الله، وذلك بالحشر والنشور إليه تعالى لا محالة.

توضيحـه: أنّ مقتضى لطـف الباري جلّت عظمتـه إيصال مـن يسعى في عبادة الله والتقرب منه إلى غايته.

وقال تعالى: ﴿يٰا أَيَّتُهَا النَّفس المُطْمَئنةُ * ٱرْجِعِي إِلـىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَٱدْخُلي فِي عِبٰادِي* وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر/ ٢٧ـ٣٠).

ذكر في «الأسفار»، ج٩، ص ٢٤٣ في بيـان ذلك: انّه تعالى لم يخلـق شيئاً لا لغاية و ما من ممكن إلاّ و له فاعل و غاية، و من الموجودات و هي المركّبات ما له علـل أربع: الفـاعل والغـايـة و المادة والصورة و لكـلّ غـاية غـاية أُخـرى و لا يتسلسل إلى غير النهـاية بل ينتهي إلى غـاية أخيرة لا غاية لها، كما إنّ لكـلّ مبدأ مبدأ حتّى ينتهي إلى مبدأ أوّل لا مبدأ لـه... ـ إلى أن قال: ـ وغاية الشيء أشرف لا محالة مـن ذلك الشيء فغاية كـلّ جوهر هي أقـوى جوهرية و أتـمّ وجوداً وأشرف مرتبة مـن ذلك الجوهر، وهكذا ننقل الكـلام إلى تلك الغاية حتّى تنتهـي إلى غاية أخيرة لا أشرف منها ولا غاية بعدها دفعاً للتسلسل، وهي غاية الغايات و منتهى الحركات و الرغبات و مأوى العشّاق الالهيّين و المشتاقين وذوي الحاجات؛ فالكلّ محشور إليه تعالى وهو المطلب.

٥. لولا المعاد يلزم تسوية المتقين مع الفجار

قال الله تعالى ﴿**أَمْ نَجْعَلِ الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّـالِحات كَالْمُفْسِدينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلِ الْمُتَّقِينَ كَالفُجّارِ**﴾ (ص/ ٢٧و ٢٨).

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْـدَ رَبِّهِمْ جَنّات النَّعيم* أَفَنَجْعَـلُ المُسْلِمينَ كَالْمُجْرِمينَ* مٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ (القلم/ ٢٤ـ٢٦).

٦. عدم جزاء الأعمال الصالحة ينافي فضله سبحانه و تعالى

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ**﴾ (طٰه/ ١٥).

وقال تعـالى: ﴿**لِيُجـزى الّذيـنَ آمَنُـوا وَ عَمِلُوا الصّـالِحـات مِنْ فَضْلـهِ**﴾ (الروم/ ٤٥).

وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِي اللهُ الصّادِقينَ بِصِدْقِهِمْ﴾ (الأحزاب/ ٢٤).

وقال تعالى: ﴿وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (الأنفال/ ٦٠).

وقال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللهُ كُلَّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسابِ﴾ (إبراهيم/ ٥١).

وقال تعالى: ﴿لَهُمْ ما يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذٰلِكَ جَزاءُ الْمُحْسِنينَ﴾ (الزمر/ ٣٤).

وقال تعالى: ﴿أُولٰئِكَ أَصْحابُ الْجَنَّةِ خالِدينَ فِيها جَزاءً بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ (الأحقاف/ ١٤).

٧. إنّ عدم توفية ثواب الأعمال الحسنة ينافي قسطه تعالى وعدله، و توفية جزاء الأعمال السيّئة ليست ظلماً

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جميعاً وَعَدَ اللهُ حَقّاً إِنَّهُ يَبْدَءُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات بِالقِسْطِ وَالّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيم وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرونَ﴾ (يونس/ ٤).

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجاتٌ مِمّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمالَهُمْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (الأحقاف/ ١٩).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تُوفىٰ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَ هُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٨١، آل عمران/ ١٦١).

وقال تعالى: ﴿وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة/ ٢٧٢).

وقال تعالى: ﴿فَأُولٰئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَ لا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ (مريم/ ٦٠).

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذٰا جَمَعْناهُمْ لِيَومٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفيّت كُلّ نَفْسٍ ما

كَسَبَتْ وَهُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران/ ٢٥).

وقال تعالى: ﴿وَ توفّى كُلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ وَهُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ﴾ (النحل/ ١١١).

وقال تعالى: ﴿فَاليَوْمَ لاٰ تُظْلَمُ نَفسٌ شَيئاً وَ لا تُجزون إلّا ما كُنْتُم تَعْمَلُونَ﴾ .(يس/ ٥٤).

وقال تعالى: ﴿وَ لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ وَهُمْ لاٰ يُظْلَمُونَ﴾ (الجاثية/ ٢٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السّاعَةَ آتِيةٌ أَكٰادُ أُخْفِيهٰا لِتُجْزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا تَسْعىٰ﴾ (طه/ ١٥).

وقال تعالى: ﴿اَليَوم تُجزىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ لاٰ ظُلْمَ اليومِ﴾ (غافر/ ١٧).

وقال تعالى: ﴿لا ظُلْمَ اليَومَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسٰابِ﴾ (غافر/ ١٧).

تنبيه: لا ريب أنّ الطاعة لله هي وظيفة المخلوق المملوك له تعالى ولا يستحق العبد بذلك أجراً من عنده تعالى، و إن استحقّ فقد أعطاه أكثر من ذلك في الحياة الدنيا.

ففي بحار الأنوار، ج٧، ص ١١:

إنّ النبيّ ﷺ قال: و الّذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاّ أن يتغمّدني الله برحمة منه و فضل ـ و وضع يده على فوق رأسه و طوّل بها صوته ـ رواه الحسن في تفسيره.

وقد حسب الله تعالى من فضله الأجر للعبد على العمل الصالح حقّاً له كالقرض قال تعالى: ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرضاً حَسَناً فَيُضاعِفهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرة﴾ (البقرة/ ٢٤٥)، و عدّ توفية أجره قسطاً و عدلاً كما تقدم في الآيات السّابقة.

وأمّا معصيته فهـي موجب لاستحقاق العقـوبة عقلاً مضافـاً إلى انّ ما يراه المسيء في الآخرة هو الأثر الطبيعي لعمله بل هو عينه.

قال الله تعـالى: ﴿وَ وَجَـدُوا مٰا عَمِلُـوا حٰـاضِـراً وَ لاٰ يَظلِمُ رَبُّـكَ أَحَـداً﴾ (الكهف/ ٤٩)

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُـلُّ نَفْسٍ مٰا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحضـراً وَ مٰا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ (آل عمران/ ٣٠).

وقال تعالى: ﴿يَومَئِذٍ يَصْدُر النّاسُ أَشْتٰاتاً لِيُـرَوا أَعْمٰالَهُمْ* فَمَنْ يَعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ شراً يَرَهُ﴾ (الزلزال/ ٦ـ٨)

٨. مقتضى رحمة الله إحياء الإنسان بعد موته

قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلىٰ آثارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْـفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهٰا إِنَّ ذٰلِكَ لمُحيِ المَوتىٰ وَ هُوَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ (الرّوم/ ٥٠).

توضيحـه: أنّ الغرض من خلق الإنسـان فائدة تعود إليه لا محالـة لا فائدة تعود إلى الخالق جلّت عظمته، فانّه غني بـالذّات تام من جميع الجهات، و الحاجة إلى الغير من لوازم الإمكان.

ومن المعلـوم أنّ منافـع الإنسان في هذه النشـأة محفوفة بـا لمضارّ، و تمتّعـاته مختلطة بأنواع الكدورات الجسمانية والروحانيّة ،من الفتن و المحن و أنواع المظالم من القتل والجرح و الضرب والشتم وغصب الأمـوال و هتك الأعراض، إلى غيرها من أقسام الأذى الجسميّة والروحية، وأنواع المصائب من الأمراض والفقر و الفاقة وموت الأولاد والأحباب و غيرها.

فليست هـذه النشأة من شأنها أن يخلـق الله تعالى الإنسان لأجلهـا، و يشبه ذلك الضيـافة و اقـراء الضيـف إلى بيـت ملئت مـن السباع الموذيـة و الوحـوش المغضبة، لا يرتضي أيّ عاقل بضيافة كذلك ولا يستحسنه.

وهذا بخلاف أن تكون تلك المشقّات الزائلة في مدّة قليلة، مقدمة لسعادة دائمة و نعم غير زائلة وكرامات غير متناهية، لا يستحقّها الإنسان إلاّ بتحمّل تلك المشاق في برهة قليلة من الزمان في هذه النشأة.

هذا، ولا نريد من هذه المقالة استقلال نعم الله سبحانه و تعالى و استحقارها في هذه الدنيا علينا، كلاّ و حاشا، فإنّ نعمه فيها سابغة علينا ظاهرة و باطنة، كيف؟ و إن أردنا أن نعدّ نعمه لا نحصيها، و نعترف بالعجز عن إحصاء معشارها فضلاً عن استقصائها.

و إنّما أردنا أنّ مقتضى لطفه العميم و كرمه الواسع الّذي لا نفاد له ولا اضمحلال أوسع من أن ينتهي إنعامه بالموت و ينحصر إفضاله بهذه الدنيا و آجالها.

القرآن ينادي بانّ الله يحيي أبدان الأموات بعين أجزائها البالية

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَإِنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الحجّ/ ٧).

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَنْ لَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ* بَلىٰ قادِرينَ عَلىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ (القيامة/ ٣).

وقال تعالى: ﴿قالَ مَنْ يُحْيِ العِظامَ وَهِيَ رَمِيم* قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيم﴾ (يس/ ٧٨و٧٩).

وقال تعالى: ﴿قالُوا ءَ إذا مِتْنا وَ كُنّا تُراباً وَعِظاماً ءَ إنّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (المؤمنون/ ٨٢).

وقال تعالى: ﴿وَ قالُوا ءَ إذا كُنّا عِظاماً رُفاتاً أَئِنّا لَمَبْعُوثونَ خَلقاً جَديداً﴾ (الاسراء/ ٤٩ و٩٨).

وقال تعالى: ﴿ءَ إِذا مِتْنٰا وَ كُنّا تُراباً وَعِظاماً ءَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ *قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دٰاخِرُونَ﴾(الصافات/ ١٦ـ١٨).

وقال تعالى: ﴿وَ قٰالُوا ءَ إِذٰا مِتْنٰا وَ كُنّا تُراباً وَعِظاماً ءَ إِنّا لَمَبْعُوثُونَ أَوَ آباؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الآخِرِينَ* لَمَجْمُوعُونَ إِلىٰ مِيقاتِ يَومٍ مَعْلُومٍ﴾ (الواقعة/ ٤٧ـ٥٠).

وقال تعالى: ﴿فَإِذٰا هُمْ مِنَ الْأَجْداثِ إِلىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ (يس/ ٥١).

وقال تعالى: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ كَأَنَّهُمْ جُرادٌ مُنْتَشِر﴾ (القمر/ ٨).

وقال تعالى: ﴿يَومَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْداثِ سِراعاً﴾ (المعارج/ ٤٣).

وقال تعالى: ﴿وَ إِذَا الْقُبُور بُعْثِرَتْ *عَلِمَتْ نَفْسٌ مٰا قَدَّمتْ وَأَخَّرتْ﴾ (الانفطار/ ٤).

وقال تعالى: ﴿أَفَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِي الْقُبُورِ﴾ (العاديات/ ٩).

وقال تعالى: ﴿ قالُوا يٰا وَيْلَنٰا مَنْ بَعَثَنٰا مِنْ مَرْقَدِنٰا﴾ (يس/ ٥٢).

قال في «البحار»، ج٧، ص ٩٧:

القول بالمعاد الجسمانيّ ممّا اتّفق عليه جميع الملّيّن و هو من ضروريّات الدين و منكره خارج عن عداد المسلمين، و الآيات الكريمة في ذلك ناصّة لا يعقل تأويلها، و الأخبار فيه متواترة لا يمكن ردّها ولا الطعن فيها.

وقال في «الأسفار»، ج٩، ص ١٦٥: وقد اتّفق المحقّقون من الفلاسفة و المليين(أي اليهود والنصارى و المسلمين) على حقّيّة المعاد و ثبوت النشأة الباقية لكنّهم اختلفوا في كيفيّته فذهب جمهور الإسلاميين(أي العامة منهم يعني أهل السنّة) وعامة الفقهاء وأصحاب الحديث(أي الفقهاء و أصحاب الحديث من العامة يعني أهل السنة) إلى أنّه جسماني فقط بناءً على أنّ الروح عندهم جسم سار في البدن سريان النار في الفحم و الماء في الورد و الزيت في الزيتونة.

و ذهب جمهور الفلاسفة و اتباع المشائيين إلى أنّه روحاني... .

ذهب كثير من أكابر الحكماء و مشايخ العرفاء، و جماعة من المتكلّمين كحجّة الإسلام الغزالي و الكعبي والحليمي و الراغب الاصفهاني، و كثير من أصحابنا الإمامية كالشيخ المفيد وأبي جعفر الطوسي والسيّد المرتضى والعلاّمة الحليّ والمحقّق الطوسي ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ إلى القول با لمعادين جميعاً ذهاباً إلى أنّ النفس مجردة تعود إلى البدن، وبه يقول جمهور النصارى....

ثمّ قال: والحقّ كما ستعلم إنّ المُعاد في المَعاد هو هذا الشخص بعينه نفساً و بدناً؛ فالنفس هذه النفس بعينها، و البدن هذا البدن بعينه بحيث لو رأيته لقلت رأيته بعينه فلان الّذي كان في الدنيا و إن وقعت التحولات والتقلّبات إلى حيث يقال هذا ذهب و هذا حديد، و ربّما ينتهي في كلاهما إلى حيث يتحدان و يصيران عقلاً محضاً واحداً، و من أنكر ذلك فهو منكر للشريعة ناقص في الحكمة، و لزمه إنكار كثير من النصوص القرآنية.

وقال في ص ١٩٧:

إنّ من تأمّل و تدبر في هذه الأُصول والقوانين العشرة التي أحكمنا بنيانها و شيدنا أركانها ببراهين ساطعة و حجج قاطعة لامعة، مذكورة في كتبنا و صحفنا سيما هذا الكتاب، تأمّلاً كافياً و تدبراً وافياً بشرط سلامة فطرته عن آفة الغواية والإعوجاج، و مرض الحسد و العناد، و عادة العصبية والافتخار والاستكبار، لم يبق له شك و ريب في مسألة المعاد وحشر النفوس والأجساد، ويعلم يقيناً و يحكم بأنّ هذا البدن بعينه سيحشر يوم القيامة بصورة الأجساد، و ينكشف له إنّ المُعاد في المَعاد مجموع النفس و البدن بعينهما و شخصهما و إنّ المبعوث في القيامة هذا البدن بعينه لا بدن آخر مبائن له عنصرياً كان كما ذهب إليه جمع من الإسلاميّين ، أو مثاليّاً كما ذهب إليه الاشراقيون؛ فهذا هو الاعتقاد الصحيح المطابق للشريعة و الملة الموافق للبرهان و الحكمة، فمن صدّق وآمن بهذا فقد آمن

بيوم الجزاء، وقـد أصبح مؤمناً حقّـاً، و النقصان عن هذا الإيمان خـذلان و قصور عن درجـة العرفان، وقـول بتعطل أكثر القوى والطبـائع عن البلوغ إلى غـاياتها و الوصـول إلى كمالاتها ونتائج أشواقها و حـركاتها، و يلزم أن يكون مـا أودعه الله في غرائز الطبـائع الكونية و جبـلاّتها من طلب الكمال والتوجـه إلى ما فوقهـا هباءً و عبثاً و باطلاً و هـدراً، فلكلّ قوة من القوى النفسانيـة وغيرها كمال يخصها و لذة وألم و ملائمة و منافرة تليق بها، و بحسـب كلما كسبته أو فعلته يلزم لها في الطبيعة الجزاء و الوفاء، كما قررته الحكماء .

دفع شبهة استحالة إعادة المعدوم

إنّ هذه الشبهة إنّما تتوجّـه لو انعدمت مادّة بدن الإنسان بعـد موته، فكان ايجادها ثانياً ايجاداً لموجود آخر غير ما كان موجوداً سابقاً و انعدم.

أمّا مع بقاء مادّة بـدن الإنسان فهي بعد تصويرها بصورة الإنسـان ثانياً هو الإنسان السابق بعينه ، كما لو كان هناك سرير فصّلنا أجزاءه ثمّ وصلناها، كان هو السرير السابق لا سريراً آخر.

روى في أمالي الطـوسي، ص ١٩٣ عن جماعة عـن أبي المفضل قال: حـدثنا الحسن بن علي بن عاصم الزفري قال: حدثنا سليمان بن داود أبو أيوب الشاذكوني المنقري قـال: حدثنـا حفص بـن غياث القاضي قـال: كنت عنـد سيد الجعـافرة جعفربن محمد عليه السلام لما أقدمه المنصـور، فأتاه ابن أبي العوجاء و كـان ملحداً فقال له: ما تقول في هذه الآية ﴿**كُلّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدّلناهُمْ جُلُوداً غيرها**﴾ هب هذه الجلود عصيـت فعذبت فما بال الغيرية؟ فقـال أبو عبد الله عليه السلام : ويحك هي هي و هي غيرها. قـال: اعقلني هذا القول. فقال له: أرأيـت لو أنّ رجلاً عمد إلى لبنة فكسرهـا ثمّ صب عليها الماء وحيلهـا ثمّ ردها إلى هيئتها الأُولى ألم تكـن هي هي و هي غيرها؟ فقال: بلى امتع الله بك.

فهرست المطالب

